وَصْفُ مَكَّةَ المَكَرَّمَةِ

كما ورد في مصنف "مكة المكرمة أم الدنيا"

صنفه باللغة التركية العثمانية

الشريف محمد صادق

ترجمة ودراسة

الدكتورة / تسنيم محمد حرب

وَصْـــفُ مَكَّـــةَ المَكَرَّمَـــةِ

كمـا ورد فـــي مصنــف

((مكة المكرمة أم الدنيا))

الطبعة الأولى 1

(١٤٤٠هـ - ٢٠١٩م)

اسم الكتاب : وصف مكة المكرمة كما ورد في مصنف

((مكة المكرمة أم الدنيا))

اسم المؤلف : الشريف محمد صادق

اسم المترجم : تسنيم محمّد حرب

موضوع الكتاب : تاريخ

مقاس الكتاب : ١٧ x ٢٤ سم

الترقيم الدولي : ٩٧٨-٦٠٥-٦٩٧٤٢-٧-٢

مركز التاريخ العربي للنشر

Arab History Publishing

التوزيع والنشر

6/11 شارع وحيد أفندي - حي توفيق بيك - كوجوك

جكمجة - اسطنبول - تركيا - ت: 00905454886870

هاتف: 00201027013326 - 00201555566139

E-mail: info@arabhistorypublishing.com

Websit: www.arabhistorypublishing.com

الإهـــــداء

إلـــى أمـــي ..

السيدة التي تركت التدريس بالجامعة؛ لتجعل من بيتها جامعة للأخلاق والعلم.

ولتكون الجندي المجهول خلف جيل من العلماء.

إليها .. حبًا وتقديرًا وشكرًا وامتنانًا وإكبارًا..

ابنتك/ تسنيم

المقدمــة

أقدم في هذا البحث مصدراً عثمانياً جديداً يختص بتاريخ مدينة عربية في القلب من العالم الإسلامي والخلافة العثمانية.

يتميز هذا المصدر –أولاً- بعنوانه البديهي: "مكة أم الدنيا"، وهي الصفة التي تستحقها عن جدارة على الصعيد العقائدي والسياسي في التاريخ الإسلامي خصوصاً.

ثم يتميز الكتاب بتاريخ صدوره في الفترة الانتقالية الحرجة من نهايات الدولة العثمانية (١٩٠٩م) عند خُلع السلطان "عبد الحميد الثاني"، وتولى أعضاء (تركيا الفتاة) أو (الاتحاد والترقي) مقاليد الحكم في البلاد بصورة فعلية، تحت السيادة الشكلية للسلطان الجديد (محمد رشاد).

وكعادة الكثيرين من مؤلفي الكتب في العصور الماضية من إهداء الكتب إلى واحد من كبار المسئولين في الدولة، فقد أهدى الكتاب إلى (جمعية الاتحاد والترقي العثمانية)؛ شكراً لها؛ بل وجعل حقوق طبع الكتاب وعائده للجمعية، كما ذكر ذلك على صفحة الغلاف.

وثالث ميزات هذا الكتاب هو أنه نادر المثال بين كتب الـ"فذلكة"، والتاريخ في تلك الفترة؛ حيث يندر أن نجد كتاباً يتناول تاريخ مدينة بعينها، ونجد قليلاً من الكتب والتقارير التي تقدم فذلكة عن ولاية ما، أو إقليم ما، كما فعل "محمد كامل" بن نعمان الحمصي، الكاتب في المابين الهمايوني، صاحب كتاب/ تقرير (معلوماتنا عن جزيرة العرب)، والذي كتبه بتكليف من السلطان عبد الحميد الثاني، وكلا الكاتبين: (الحمصي، ومحمد صادق) سارا على نفس الخطة في تقسيم فصول ومحتويات الكتاب.

يمكننا أن نستنتج الغرض من تأليف هذا الكتاب من خلال استقراء الظروف السياسية لتلك الفترة، ومن خلال ربط هذه الظروف بما أورده المؤلف من نصوص ذات دلالة في كتابه.

فالكتاب -في مجمله- هو احتفاء من المؤلف "محمد صادق" -حفيد أمير مكة السابق الشريف عبد المطلب- بتولى رجال جمعية الاتحاد والترقي مقاليد الوزارة والحكم في الدولة العثمانية، وبداية الحكم الدستوري في البلاد للمرة الثانية (عهد المشروطية الثانية)؛ بعد أن عطلها السلطان عبد الحميد الثاني نحو ثلاثين سنة، وانتهاء العهد (الاستبدادي)كما وصفه الكثيرون ممن خُدعوا بالشعارات الماسونية[١] لتلك الجمعية.

كما أن الكتاب يبدو في صورة تقرير مقدم لأولي الأمر في الدولة حول هذه المدينة، وأهميتها وميزاتها، وأمرائها وأشرافها، ولا ينسى أن ينتقد بعض تصرفات الأشراف السابقين من الفرع الآخر من عائلة المؤلف[٢].

---

(١) ليس هذا تشكيكًا أو اتهامًا للجمعية وقادتها ومؤسسيها، إنما هي حقيقة تاريخية أثبتتها الكثير من الدراسات، وأيضًا المصادر المعاصرة لها.

(٢) يقول: (ولكن مع الأسف تملك كل من الأمير عون الرفيق وشر خلفه علي باشا والوالي أحمد راتب باشا هذه المخصصات وكأنها إرث من قديم لهم، واستولوا عليها بالغصب، وقاموا مقام أصحاب الدعاء، مما عمل على انكسار قلب المساكين والفقراء الذين كانوا يتعيشون منها).

ويؤكد على ضرورة تدارك الخطأ في سياسة اختيار أشراف وأمراء مكة[١]؛ والمؤلف بالطبع يؤكد على ضرورة عودة الشرافة والإمارة إلى الفرع الذي ينتمي إليه، بعد أن أساء الفرع الآخر - من أبناء عمومته – إدارة شئون المدينة.

والمصدر الأساسي في بحثنا هذا هو الكتاب في أصله العثماني المطبوع في مطبعة كتبخانة جهان باستانبول (دار الخلافة العلية) سنة ١٣٢٤هـ،

---

(١) حيث يقول: (قام محمد على باشا والي مصر -بناء على بعض الأفكار الخاطئة- بعزل "الشريف غالب" -رحمة الله عليه- وهو من أحفاد الشريف قتادة، أو بتعبير آخر من عائلة ذوى زيد، وعيّن بدلا منه الشريف يحيى من نفس العائلة، ولما لم ير منه أي خدمة قام بعزله، وعيّن مكانه الشريف محمد بن عونة من عائلة ذوي عون، وبذلك تشتت مقام الإمارة .

وهناك الكثيرون مع الأسف ممن ينادون بأن تكون إدارة مكة المكرمة كإدارة المختارية، وذلك حتى لا يحدث التباس في لفظ الإمارة، وحتى لا تكون منحصرة في آل بيت النبي، وبالرغم من أنه يطلق لفظ الإمارة على الإيالة الممتازة أو المختارية، إلا أننا نطلب ويطلب معنا أيضا أصحاب الإيمان والإذعان إلغاء هذا الرأي الذي يبدوا وكأنه شبهة في حق آل بيت الرسول، نظرا لما أوضحناه من حرمة خالصة، وهذا هو سبب إطلاق الإمارة على هذه الوظيفة المذكورة .

وثمة رأى ثان باطل يقول بلزوم أن تكون إمارة مكة مختارية، وعلى هذا فيجب أن يتولاها أكبر الأشراف، ويتضح لنا من خلال التفصيلات التالية أن إمارة مكة وظيفة بكل ما تحمله الكلمة من معان؛ لأنها تعني حينئذ الولاية، ومن ثم يتم تعيين الولاة عليها؛ لإدارة الشئون المالية والملكية بها بشكل أكثر انتظاما، ولن تلغى الإمارة وقتئذ بل يشرك هؤلاء الولاة في شئونها، أما صورة منح الإمارة فلم تتبع قاعدة أو أصولاً معينة، بل يمنحها السلطان لأحد الأشراف بلا تعيين. وبناء على ذلك لم تكن إمارة مكة مختارية أو حكماً يورث .

بل إنها انحصرت لفترة تتجاوز الـ ٧٠٠ عام في عائلة ذوي زيد بداية من الشريف قتادة وحتى الشريف يحيى اتباعا للعادات القديمة، ولم يكن هذا امتياز يمنح لهم، لأنه كان يجب فيمن يتولى هذا المقام بالنظر لقدسية وخصوصية مكة أن يكون من عائلة لها مكانتها وشهرتها بين العرب، ولم يكن هناك أدنى شك في انتسابها للرسول ﷺ. ويستدل على صحة هذا الرأي من الأحداث التي تدعو للتأسف، والتي وقعت من عائلة ذوي عون التي عينت مؤخراً على إمارة مكة. لذا رأينا من المناسب ذكر الأشخاص الكرام الذين تولوا منصب إمارة مكة منذ العهد النبوي وحتى يومنا هذا، وكذا بعض الأحداث الخاصة بها لتكون تذكرة قيمة).

ويحمل عنوان: "مادر دنيا" جَمْعُ الشريف محمد صادق حفيد أمير مكة الشريف المرحوم عبد المطلب، ويقع الكتاب في ١٥١ صفحة، وتاريخ تحرير الكتاب هو (١٠ كانون أول ١٣٢٤ رومي)[١].

أما مؤلف الكتاب -الذي لم أجد له أي ترجمة أو إشارة - فيما بين يدينا من مصادر- فلم ينس أن يكتب اسمه ونسبه آخر مقدمته للكتاب[٢]، وهو:

محمد صادق بن الشريف أحمد عدنان، ابن أمير مكة المكرمة الشريف عبد المطلب، ابن أمير مكة المكرمة الشريف غالب[٣]، ابن أمير مكة المكرمة الشريف سعيد؛ ابن أمير مكة المكرمة الشريف سعد. ابن أمير مكة المكرمة الشريف زيد ... إلى أمير مكة المكرمة حضرة الشريف قتادة.

---

(١) انظر: ص ١٤٧ من الأصل العثماني .

(٢) انظر: ص ٥، ٦ من الأصل العثماني .

(٣) **الشريف غالب (٠٠٠ - ١٢٣١ هـ = ٠٠٠ - ١٨١٦ م)**

غالب بن مساعد بن سعيد الحسني: من أمراء مكة. وليها بعد وفاة أخيه سرور (سنة ١٢٠٢ هـ) ونازعه ابن أخيه (عبد الله بن سرور) فقبض عليه غالب واستتب له الأمر زمنا. في أيامه قوي الإمام سعود بن عبد العزيز بنجد، وهاجمت جيوشه الحجاز. فقاتلها الشريف غالب، وتقهقر إلى جدة. ثم أظهر الطاعة لسعود، حتى كان كأحد عماله، وعاد إلى مكة، واستمر في الإمارة إلى أن زحف محمد علي باشا (والي مصر) بجيش كبير من الترك وغيرهم لقتال السعوديين، فتحول الشريف عن ولائه لآل سعود، فاستخدمه محمد مدة قصيرة، ثم قبض عليه وأرسله إلى مصر (سنة ١٢٢٨هـ(، فأقام أشهراً وأرسل إلى الآستانة فنفته حكومتها إلى سلانيك فتوفي فيها. وكان فيه دهاء، وأخباره مع آل سعود كثيرة أشار إليها مؤرخو عصره .

خير الدين الزركلي: الأعلام؛ قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الخامسة ١٩٨٠، ج ١٠، ص ٤٣٧.

قدم الكتاب إجمالاً مختصراً لمكة المكرمة في معظم ما يتعلق بها من النواحي: التاريخية، والجغرافية، والبيئية، والإدارية، والعمرانية، والآثرية، والدينية، والسياسية، وغيرها من المعلومات المفيدة جداً.

ويمكننا أن نعتبر الكتاب وثيقة تاريخية مضافة إلى الوثائق الأخرى حول أحوال المدينة في عصر المؤلف. ونصوص الكتاب الوصفية تمثل قيمة كبرى إذا قورنت بالمؤلفات السابقة واللاحقة[١]؛ حيث تتبين من خلالها التطورات التي مرت بها المدينة على مختلف الأصعدة: العمرانية، والاجتماعية، وغيرها.

أما منهج المؤلف في كتابه فيمكننا أن نلحظ بعضاً من ملامح هذا المنهج؛ رغم صغر حجم الكتاب، وأبرز الملامح هو أن المؤلف اعتمد أسلوب كتب الفذلكة، فأورد معلومات غزيرة في نقاط سريعة ومركزة، وتقسيم منهجي، ومنطقي، يشمل الكثير من النواحي: التاريخية، والجغرافية، والطبيعية، والاجتماعية، والسياسية وغيرها... كما هو مبين في محتويات الكتاب.

---

(١) ويمكننا مقارنة ما ذكره الشريف محمد صادق مع ما ذكره سليمان شفيق في كتابه (رحلة الحجاز) بخصوص المنشآت الحكومية والإدارية بمكة، لنقف على مدى ما لحق بالمنطقة من تطورات وتجديدات في نحو ثمانية عشر عاماً هي الفاصل ما بين زمن الكتابين. وثمة وجه آخر للمقارنة بين كتابي سليمان شفيق ومحمد صادق وهو مشتملات الصرة الهمايونية مع المحمل، وذلك ضمن الجهود التي تبذلها الدولة.

وبالتالي قد اعتمد على عدد كبير من المصادر العثمانية لإيراد كل هذه المعلومات؛ إلا أنه لم يصرح بهذا النقل إلا مرة واحدة عندما أشار إلى تاريخ بجوي، ثم نقل منه نصا، لكننا يمكننا ببساطة أن نكشف أنه نقل عدداً من الصفحات بالنص من كتاب محمد الأمين المكي: (خدمات العثمانيين في الحرمين الشريفين ومناسك الحج) لاسيما ما جاء في كتاب خدمات العثمانيين تحت عنوان: (المواضع المقدسة والمآثر المباركة المقدسة في البيت المعظم)(١).

كما أن لائحة الإصلاحات الإدارية المقترحة من محمد صادق في نهاية كتابه: "مادر دنيا"، كانت --أيضاً-- سيراً على منهاج العديد من الرحالة العثمانيين؛ من كبار موظفي الدولة؛ الذين زاروا المنطقة وكتبوا عنها، وذيلوا كتاباتهم بالكثير من المقترحات في صورة لائحة، أو بثوها خلال عرض موضوعات الكتاب، نذكر منهم على سبيل المثال:

- رحلة عالي بك إلى العراق العثماني والهند
- رحلة الحجاز لسليمان شفيق (سويله مز أوغلو)
- معلوماتنا عن جزيرة العرب لابن دارمي الحمصي

---

(١) انظر: محمد الأمين المكي: خدمات العثمانيين في الحرمين الشريفين، ترجمة: ماجدة مخلوف، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط٢، ٢٠٠٥ م، ص: ٧٣ – ٨٣ .

- "السلطان" مذكرات الضابط "حسين حسني" قائد قوة القصيم المتنقلة
- رحلة المفتش علي سعاد في الخليج والجزيرة العربية.

أما عملي في هذا البحث فهو ترجمة معظم فصول الأصل العثماني من كتاب (مادر دنيا) المتعلقة بموضوع البحث: (وصف مكة المكرمة)، ثم التعليق عليها في الحواشي؛ وفق ما يتطلبه المنهج العلمي في التحقيق من: التعريف بالأعلام الواردة في المتن، التعريف بالمواضع والبلدان، شرح المصطلحات التاريخية، وغير ذلك مما يفسر مراد المؤلف، ويزيل غموض النص، ويجعله واضحاً للقارئ المتخصص وغير المتخصص، مع وضع هذه المقدمة.

والنسخة التي اعتمدت عليها -في هذا البحث- محفوظة بمكتبة محمد شوكت تحت رقم ١٩١٢م.

ليس في الكتاب فهرس للمحتويات، وفيما يلي العناوين الرئيسية التي جاءت في متن الكتاب:

- الأحوال الجغرافيا للحجاز.
- المحاصيل والحيوانات .
- التقسيمات الملكية والأحوال الإدارية .

- درجات الحرارة في مكة المكرمة .
- الكعبة المعظمة.
- أيام فتح الكعبة.
- المسجد الحرام.
- المآثر الخيرية الأخرى.
- معلومات بخصوص العين المذكورة (عين حُنين) .
- المحمل.
- الطائف.
- الإمارة الجليلة.
- بحث.
- كيفية ظهور وانتشار المذهب الوهابي.
- الشريف عبد المطلب.
- المواد الرئيسية للائحة (الإصلاحات الإدارية المطلوبة في مكة).

وقد ركزت على (وصف مكة المكرمة)، وأعرضت عن الفصول الأخرى الواردة في نهاية الكتاب، وهي:

- كيفية ظهور وانتشار المذهب الوهابي.
- الشريف عبد المطلب.
- المواد الرئيسة للائحة الإصلاحات الإدارية المطلوبة في مكة.

وفي الختام، أرجو أن أكون قد وفقت في تقديم مصدر جديد للمكتبة العربية؛ يسهم في إثراء المعارف التاريخية والاجتماعية، ويقدم معلوماتٍ مهمةً وإضافية إلى تاريخ وحضارة الدولة العثمانية.

الأحوال الجغرافية للحجاز

ولاية[١] الحجاز من جملة الممالك العثمانية الكائنة بقارة آسيا، وهي جزء مهم ومقدس من جزيرة العرب.

يحدها من الشرق بلاد نجد وشمر ووادي بر الشام، ومن الغرب البحر الأحمر، ومن الجنوب سنجق[٢] عسير بولاية اليمن، ومن الشمال محافظة العريش التابعة للخديوية[٣] المصرية.

---

(١) التقسيمات الإدارية في الدولة العثمانية كانت مقسمة إلى إيالات، والإيالات إلى سناجق، والسناجق إلى أقضية، والأقضية إلى نواح، والنواحي إلى قرى.

سهيل صابان: المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، مكتبة الملك فهد، الرياض، ٢٠٠٠م، ص ٤٥

(٢) **سنجق** Sancak: ومعناها اللغوي العلم واللواء الخاص بالدولة، ثم خص بها اللواء الذي يمنحه السلطان للوالي أو الأمير تعبيراً عن ثقته بأنه أهل للحكم، ثم تطورت الدلالة، فأصبحت تعني قسماً إدارياً من أقسام الدولة، وحلت محلها مؤخراً الكلمة العربية "لواء" للمعنى نفسه؛ أي " قسم إداري ".

وكانت الأقسام الإدارية ترتب على هذا النحو: ناحية أي بلدة، قضاء، سنجق، ولاية.

وكان اللواء وهو السنجق يشمل من خمسة إلى عشرة قضاءات أو أقضية. وكان حاكم السنجق قبل عهد التنظيمات–١٨٣٩م– حاكماً عسكرياً ومدنياً، غير أنه ليس متاحاً له التدخل في شئون القضاء والعدالة، وقد أصبح عقب عهد التنظيمات كالمتصرف. ويذكر أنه في بداية نشأة الدولة العثمانية كان السنجق هو الوحدة الإدارية الأساسية؛ حيث انقسمت الدولة إلى عدد من السناجق؛ على رأس كل منها "سنجق بكي" أي أمير لواء. ولكن عندما اتسعت رقعة الدولة وكثر عدد الألوية؛ عمدت الدولة إلى جمع عدد من الألوية في ولاية واحدة، ومع ذلك فقد خلت بعض الولايات الكبيرة من مثل هذه التقسيمات، مثل اليمن ومصر.

سهيل صابان: المعجم الموسوعي، ص ١٣٦ .

(٣) **الخديو:** بفتح الخاء وكسرها كلمة فارسية معناها المولى أو السيد أو الرب، وكان يعطى هذا اللقب في فارس وتركيا إلى بعض حكام الأقاليم المستقلة، وكان إسماعيل باشا أول من حصل على هذا اللقب بصفة رسمية حيث صدر له فرمان في ٥ ربيع الأول ١٢٨٤هـ / ٨ يوليو ١٨٦٧م أنعم عليه فيه السلطان بلقب خديو، ولم ينل ذلك أحد قبله من ولاة مصر، للتعبير عن وضعه كحاكم متميز في الدولة العثمانية.

مصطفى بركات: الألقاب والوظائف العثمانية، دار غريب، القاهرة، ٢٠٠٠م، ص ٣٠٧ .

ويزيد عدد سكان أهالي الحجاز عن ٢ مليون ونصف المليون نسمة، ضمن ذلك العدد سكان المدن والقرى والعربان.

ومعظم الأهالي والعربان من الجنس القوقازي، وهم من العرب النجباء، وعامة سكان الولاية أهل إسلام، وقد سميت تلك القطعة المباركة بالحجاز؛ لأنها تفصل وتحجز بين نجد وتهامة، كما تسـمى -أيضاً-: صدف اللؤلؤ، والحرمين.

وولاية الحجاز من الممالك الحارة، باستثناء قصبة الطائف(١) والمواقع الكائنة على جبل كرا، فطقسها لطيف للغاية ، وشـتاء الحجاز.................

---

(١) **الطائف:** كفاعل الطواف: مدينة في السفوح الشرقية لسراة الحجاز، شرق مكة مع ميل يسير إلى الجنوب على (٩٩) كيلو يصلها بمكة طريقان، أحدهما يأخذ من مكة على عَرَفة فوادي نعمان فجبل كسرا، والثاني يخرج بين حِراء وَثَرا غيناء، فعلى حُنين فنخلة اليمانية، فالسيل الكبير، فالسيل الصغير وهو الطريق الذي سلكه رسول الله ﷺ في غزوة الطائف .

وجاء في بعض تواريخ الطائف: أن الشريف غالباً بنى سوراً على الطائف في عام ١٢٠٤هـ، ثم هدم هذا السور في عهد الملك عبد العزيز، وكانت له أبواب؛ منها: باب الريع، يخرج منه إلى مكة عن طريق كرا، وباب شُبرة، يخرج منه إلى مكة، عن طريق نخلة اليمانية، ويخرج منه أهل المشرق، وباب شرقي يخرج منه إلى الجهات الجنوبية، وذرية الشريف غالب اليوم مستوطنو المثناة من وج جنوب الطائف. انظر:

- الزمخشري: الجبال والأمكنة والمياه، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٢٢م، ص ١٧- الحِميري: الروض المعطار، ص ٣٧٩ .
- الهمداني: صفة جزيرة العرب، دار صادر، بيروت، ١٩٥٥م، ص ٦١ .
- ياقوت الحموي (ياقوت بن عبد الله الحموي أبو عبد الله): معجم البلدان، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٤م، ج ٤، ص ٨-١١ .
- أبو عبيد البكري(أبى عبيد، عبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي): معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٣ هـ-١٩٨٣م، ص ٢٤٨-
- عاتق بن غيث البلادي: معجم معالم الحجاز، دار مكة للنشر والتوزيع، ١٩٧٨م، ج ٤، ص ٢١٩ – ٢٢٢.

كربيع نواحي الأناضول[١] والروميلي[٢].

أراضي ولاية الحجاز تتكون من الصحاري والجبال الحجرية والرملية، وبالرغم من أن معظم هذه الأراضي لا يصلح لإنبات الحشائش والأعشاب، وذلك تبعا لقلة نزول المطر، إلا أنه توجد بعض الأماكن ذات التربة المنبتة، والمياه المنهمرة في بعض الأودية بتهامة، وعلى سفوح الجبال، حيث ينبت ويثمر بتلك الأماكن كل أنواع المحاصيل.

وكما توجد مروج خضراء في الأماكن الرملية تكفي لتربية الحيوانات؛

---

(١) **أناضولي**، والأناضول، شبه جزيرة مستطيلة يحدها شمالاً البحر الأسود، وغرباً بحر إيجه، وجنوباً البحر المتوسط، وشرقاً جبال إرمينية، يبلغ طولها من الغرب إلى الشرق ١٠٠٠ كم تقريباً، وبين ٤٥٠ و ٦٥٠ كم من الشمال إلى الجنوب، تقع بين خطي عرض ٣٦، ٤٣، فهي بهذا تقع على الخط نفسه مع الأندلس وصقلية، وهي مسطح مائل نحو الشمال الغربي تحيط به السلاسل الجبلية المرتفعة.

ظل الجغرافيون العرب والأتراك أنفسهم يطلقون عليها بلاد الروم حتى وقت متأخر من العهد العثماني. أصل الكلمة يوناني بيزنطي، وكان يدل على تقسيم إداري في الإمبراطورية البيزنطية، حل مكانه مع امتداد الفتح العثماني دلالة أكثر عمومية للاسم الذي أصبح أناضولو Anadolo بلسان الترك. كان الاسم يشمل بداية الأناضول الغربية فقط، ولدى إعادة تقسيم الولايات في عهد التنظيمات -منتصف القرن ١٩- صارت الأناضول مجرد تسمية جغرافية لا تطلق سوى على شبه الجزيرة نفسها (تقريباً حتى خط طربزون -أرزنجان- برجق - الإسكندرونة) واليوم يعني الأتراك بقولهم: الأناضول القسم الآسيوي من تركية بما فيها المناطق التابعة جغرافياً لأعالي ما بين النهرين (الجزيرة "ديار بكر"، أرمينية "قارص") عدا جزر بحر إيجه.

س. موستراس: المعجم الجغرافي للإمبراطورية العثمانية، ترجمة وتعليق: عصام محمد الشحادات، دار ابن حزم، بيروت، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، ص ١٥ .

(٢) **إيالة الروميلي**: هي الولاية العثمانية الأولى الواقعة في أوربا من أراضي الدولة العثمانية، كان مركزها صوفيا وأميرها برتبة أمير الأمراء، وفي حال ترقيته يصبح أغا الروملي، وكانت تتكون من أربع وعشرين سنجقاً، لواء باش (صوفيا)، كوستنديل، فيزة، جرمن، قرق كليسة، سلسترة، نيكبولو، ويدين، آلاجه حصار، فوجي ترين، بزرن، أشقودره، دوكاكين، أفلونيا، أوهري، دفلينة، يانيا، ألبصان، سوره، نزحله، سلانيك، أسكوب، بندر، أق كرمان.

سهيل صابان: المعجم الموسوعي، ص ٤٦ .

نجد -أيضًا- البطيخ والشمام يثمران صيفًا وشتاءً في الأودية الرملية المجاورة لمكة، وهو ما يُعد أمرًا خارقًا للطبيعة.

وفي الحجاز فصلان أحدهما ينزل فيه المطر، والآخر فصل الجفاف، وبعد نزول المطر تكتسي الأراضي باللون الأخضر، وبالرغم من هذا اللون الأخضر الذي يخفي عن العيون المنظر القاسي للرمال، إلا أنه وبعد فترة قصيرة تبدأ الرياح الساخنة الشديدة في الهبوب، فتمحو هذا المنظر الأخضر وتجعله كالخريف. ورياح إقليم الحجاز شديدة، وأشهرها وأضرها تلك المسماة رياح (سام).

وأول الجبال الموجودة بالحجاز هي السلسلة الجبلية المسماة (سرانه)[1] التي تصل حتى عدن ويبلغ طولها من أربعين إلى ثمانين ميل، وتبدأ من ساحل البحر بجوار (عقبة الأيلة)[2] الواقعة في نهاية البحر الأحمر.

---

(١) يبدو ذلك خطأ مطبعي، وهو يعني (**السراة**): السراة في الحجاز عبارة عن مجموعة من الحرار والجبال التي تتخللها، الممتدة من اتصالها بسراة عسير شرق القنفذة إلى مرتفعات الأردن الشرقية، وهي سلسلة تشبه العمود الفقري، تسيل مياهها شرقاً وغرباً مكونة أودية عميقة تدفع إلى مناطق زراعية خصبة في تهامة، والسهول الشرقية من الحجاز والسراة تتدرج في الانحدار شمالاً، وأعلى قممها في الجنوب يبلغ ٣٠٠٠ متر، أما في الشمال فارتفاعها يقل ماعدا بعض الجبال التي تبرز على هذا الظهر مثل الأشعر، وقدس وجبل اللوز، فيزيد ارتفاعها عن ٢٠٠٠ متر. وتنفصم هذه السلسلة في مكانين فقط: أحدهما في نخلة الشامية؛ حيث تسيل من شرق السراة، ثم تعطف غرباً محدثة فصماً في اتصالها، والآخر: عند المدينة حيث تسيل بعض روافد إضم من عاليه نجد فتخترق هذه السلسلة إلى البحر الأحمر عند الوجه.

وتتميز هذه السراة باعتدال هوائها، ووجود المصايف الجميلة في جنوبها خاصة؛ مثل: هدأة الطائف، وشفا بني سفيان، وشفا هذيل، وبجيلة، وسراة غامد وزهران ، وغيرها . أما = في الشمال فتقل مثل هذه الأماكن؛ لأن رءوس الجبال هناك محدد، والحرار شديدة الحرارة.

انظر: الزمخشري: الجبال والأمكنة والمياه، ص ١٤- الحميري: الروض المعطار، ص ٣١٤- الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص ٣٥- ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٣، ص ٢٠٤ - أبو عبيد البكري: معجم ما استعجم، ص ٢٠١- عاتق بن غيث البلادي: معجم معالم الحجاز، ج ٤، ص ١٨٥، ١٨٦.

(٢) **أيْلة:** شعبة من رضوى، عن البكري، وانظر: حناس، وهي غير أيلة الشام التي تعرف اليوم بالعقبة، ويطلق على خليجها خليج العقبة، ويطلق اليهود عليه خليج إيلات، ويقصدون أيلة.

انظر: أبو عبيد البكري: معجم ما استعجم، ص ٦٤- عاتق بن غيث البلادي: معجم معالم الحجاز، ج ١، ص ١٥٦ .

وأعلى قمة في الأراضي الحجازية هي قمة جبل كرا[1] الواقع على مسافة ١٢ ساعة شرق مكة، حيث ترتفع قمة هذا الجبل حتى ٢٠٠٠ متر عن سطح البحر، وهو يشكل معظم سلسلة سرانه المذكورة.

وبالرغم من أن هذا الجبل عبارة عن أحجار وعرة، إلا أنه كالحديقة الغنّاء لما يحويه من غابات بديعة المنظر، ومياه متدفقة.

(١) **كرا:** بالفتح والقصر: ذلك الجبل الضخم الذي يصعده الطريق بين مكة والطائف، تسيل منه صدور وادي نعمان، كان طريقه صعباً لا تصعده غير الحمير وجمال مدربة على صعوده، ثم ذلل في العهد السعودي، فافتتح طريقه سنة ١٣٨٥هـ، فصارت تتسابق السيارات فيه، في رأسه مما يلي الطائف فرعة تسمى الهَدَأة، مصيف جميل ومدينة حديثة لقريش وثقيف، جوها بديع، ومزارعها كثيرة. وأبّان وعورته قول شاعرهم:

وذّيت وذّة وأنا معطي كرا وارتج نعمان

وارتج من ونتي كبكب وقصر العابدية

وهو من الغناء اليماني، أو الحدري، وفي كرا هذا مياه أو شال منها ماء المَعْسَل يمر به الطريق، وماء عَلَق في وادي علق جنوب الطريق، وفيه بأسفله قرية الكُرّ، ومنه ينحدر وادي الكُرّ ووادي عَلَق، وذروته جبل يشرف على الهدأة من الجنوب الغربي، وكل ما سال منه غرباً لهذيل.

انظر: عاتق بن غيث البلادي: معجم معالم الحجاز، ج ٧، ص ٢٠٧، ٢٠٨ .

هذا وتوجد على قمة جبل أكرا قرية باسم (هَدة)[1] تقع في نقطة يمكن منها مشاهدة الصحراء الحجازية كلها، تشتهر هذه القرية بطقسها اللطيف ومياهها العذبة.

وفي أواسط الصيف -أكثر الأوقات حرارة- يُضطر المسافرون إلى هذه القرية أو سكانها المحليون إلى ارتداء الملابس الشتوية، في نفس الوقت الذي نجد فيه أهالي مكة وأهالي المناطق المتفرعة إلى تهامة لا يتحملون شدة الحر، ويتصببون عرقا منه.

---

(١) **الهَدَة:** وادٍ فحل يسيل من الشرق إلى الغرب موازيًا لوادي مر الظهران من الشمال، تفصل بينهما حرة النّهمية، يأخذ أعلى روافده من الحِمام؛ حيث تسيل الشعبة اليمنى "الجنوبية" والحِمَام جبل أسود متوسط الارتفاع من نوع الحرة يتوسط حرة المقطة، ومن أم الصحاصيح – حزوم في الحرة ؛ حيث تسيل الشعبة اليسرى الشمالية.

فإذا اجتمعت الشعبتان في وسعة نسبية سمي الوادي (مدركة) وبه بلدة مدركة، ثم ينحدر غربًا فتدفع فيه أودية عديدة مما يجعل سيله جارفًا يغمر سهولاً واسعة ويجري عدة أيام، ثم يدفع سيله في الصّغو بعد أن يفترق عن ضَجْنَان على طريق الحاج قرب عسفان من الجنوب، ومن روافده العديدة: أوان وعلق وأبو عروق والرّزن وفي الهَدَة خمس عيون جارية جلها للأشراف ذوي عمرو، وأعلى الهدة لعُتَيْبة وأسفلها لحرب.

وهو وادٍ زراعي خصب فيه بالإضافة إلى العيون، الآبار الزراعية غزيرة المياه قريبة القعر، عليها آلات ضخ وبها العديد من النخيل، وأشجار الحِمْضيات والخضراوات والموز والحناء، وينسب إليها الباذنجان الطويل الثمرة، فيقال له: "هَدَوِيّ"، وهو يعمل في مكة محشيًا باللحم، وفيها إمارة تابعة لإمارة الجموم بمر الظهران، وفيها العديد من القرى التي تسمى بأسماء ساكنيها. والعيون التي في الهدة هي: الدّور، والبُرّيكة، والرّهاطي، والفَارِعة، واليَفاع.

انظر: الزمخشري: الجبال والأمكنة والمياه، ص١٢، ٣٠- الحِميري: الروض المعطار، ص ٢٦٧- ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٥، ص٣٩٥- أبو عبيد البكري: معجم ما استعجم، ص ٣٦٤ - عاتق بن غيث البلادي: معجم معالم الحجاز، ج ٩، ص ١٦٦، ١٧٧ .

وينتشون بشرب مياه هدة الباردة كالثلج، وتتجمد المياه في فصل الشتاء في الطائف وجبل كرا، وسبق أن هبت في بعض السنوات عواصف ثلجية شديدة على قمة الجبل المذكور.

الجبل الثاني الموجود بالحجاز؛ سلسلة جبال: (طي) الواقعة شرق المدينة المنورة، وهى -أيضًا- تحير الألباب بغاباتها المنتشرة فيها.

الثالث: جبل أُحد الواقع شمال المدينة المنورة.

أنهارها:

لا يوجد بولاية الحجاز أنهار كبيرة يمكن أن يطلق عليها أنهار، ومن الممكن شق المجاري المائية والسدود لجمع مياه السيول بشكل يكفي الولاية كلها، ولكن يا للأسف لأنه لم يتم هذا حتى الآن.

وبالطائف مكان يسمى (مثنى)[١] مياهه وفيرة للغاية من أوقاف حضرة الشريف غالب، وبه -أيضًا- عين جارية، وبالرغم من وجود بعض الجداول المائية الصغيرة كجداول صعلة وجبل كرا ووادي فاطمة[٢] والسيل الكبير، إلا أن نواحي تهامة - أي أوديتها - محرومة من المياه لأن بعض مياه تلك الجداول خاص بالحدائق وبعضها يفقد في الأراضي الخالية. والجهة الغربية للولاية بأكملها يحدها البحر الأحمر.

---

(١) **مثنى:** مثناة من وادِي وجّ عندما يمر بجنوب الطائف، مشهورة بجودة الرمان، وهي للأشراف ذوي غالب، اتصل بها عمران الطائف، وقد أخذت زراعتها في التأخر والفناء بسبب انقطاع الماء، وكانت للمثناة عين جارية يضرب بها المثل في تدفق المياه والغزارة، فأجريت لسقي الطائف، وفي الأغاني الشعبية تقرن المثناة مع وج، وهي جزء منه، وفيها حي سكني اليوم يشمله اسم الطائف.

انظر: عاتق بن غيث البلادي: معجم معالم الحجاز، ج ٨، ص ٢٢ .

(٢) ويسمى أيضا (مَرّ الظهران): مر الظهران وادٍ فحل من أكبر أودية الحجاز، يأخذ أعلى مساقط مياهه من السفوح الشرقية للسراة غرب الطائف، ويسمى ذلك الوادي في رحلته =بأسماء مختلفة، ونخلة اليمانية التي تأخذ مياه هدأة الطائف ومياه جبلتي السعايد والثبة، ثم يجتمعان "النخلتان"، فيسمى الوادي وادي الزبارة، وفيه قرى عديدة منها: الزبارة والريان والمبارك والشاشية، وكلها مشروحة في موادها. وترفده أودية كبار منها: وادي مر يأتيه من الشمال، ووادي نبع: يأتيه من الجنوب، ووادي علاف من الشمال أيضًا. فإذا تعدى قرية أبي حصاني سمي وادي فاطمة، وفيه قرى عديدة منها الجموم: قصبة الوادي، ودف زيني، ودف خزاعة.

وبأسفله قرية حداء العامرة بين مكة وجدة، وبلدة رحبة التي صارت اليوم مدينة صغيرة. وتصب فيه أودية عظيمة منها: سرف، وباجج، وفخ، كلها من الضفة الجنوبية، سكانه اليوم خليط من الناس، ففي النخلتين أعلاهما (لثقيف وجلها لهذيل، ووادي الزبارة يشترك فيه هذيل والأشراف المناعمة وغيرهم، ووادي فاطمة كان يكاد يكون للأشراف مع أخلاطه قلة؛ غير أنه اليوم أصبح تشترك فيه أفناء من حرب وغيرهم.

أما القرى ففي وادي مر الظهران اليوم ما يزيد عن أربعين قرية، وطوله يبلغ قرابة مائتين وثمانية كيلو بقياس أطوال روافده، وهي نخلة الشامية، ثم يصب في البحر جنوب جدة غير بعيد عنها. ومر الظهران يمر على مرحلة من مكة قصيرة شمالاً، و"٢٤" كيلو على جادة المدينة المنورة، وصار اليوم بعض أهل مكة يختط فيه ويسكنه.

انظر: الزمخشري: الجبال والأمكنة والمياه، ص ٢٥ - الحِميري: الروض المعطار، ص ٥٣١ - ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٤، ص ٦٣ - أبو عبيد البكري: معجم ما استعجم، ص ٣٢٩ -عاتق بن غيث البلادي: معجم معالم الحجاز، ج ٨، ص ٢٢ .

ويطلق على هذا البحر اسم بحر مكة، كما يطلق عليه في العربية القلزم[1] العربي، وفي التركية بحر الشاب.

وكان اسمه في اللغة اليونانية القديمة (سينوس آرابيكوس)، ومذكور في الكتب الأفرنجية باسم (مارار ديرم) و(مارار روسو) ويقصد بهذا البحر الأحمر.

---

(١) **القلزم:** قال ياقوت: وهو شعبة من بحر الهند، أوله من بلاد البربر والسودان الذين ذكرنا في الزنج وعدم، ثم يمتد مغربًا، وفي أقصاه مدينة القلزم قرب مصر، وبذلك سُمي بحر القلزم، ويسمى في كل موضع يمر به باسم ذلك الموضع، فعلى ساحله الجنوبي البربر والحبش، وعلى ساحله الشرقي بلاد العرب، فالداخل إليه يكون عن يساره أواخر بلاد البربر ثم الزيلع، ثم الحبشة، ومنتهاه من هذه الجهة بلاد البجاء الذين قدمنا =ذكرهم، وعن يمينه عدن، ثم المندب، وهو مضيق في جبل كان في أرض اليمن يحول بين البحر وامتداده، فيقال إن بعض الملوك القدماء قدّ ضلك الجبل بالمعاول ليدخل منه خليجًا صغيرًا يهلك به بعض أعدائه، فقدَ من ذلك الجبل نحو رمية سهمين، أو ثلاثة، ثم انطلق البحر في أراضي اليمن فطغى، ولم يمكن تداركه فأهلك أممًا كثيرة، واستولى على بلدان لا تحصى، وصار بحرًا عظيمًا، فهو يمر بساحله الشرقي على بلاد اليمن وجُدّة والجار وينبع، ومدْين، ومدينة شعيب النبيعليه السلام، وأيلة إلى القلزم في منتهاه، وهو الموضع الذي غرق فيه قوم فرعون أيضًا، وبين هذا الموضع، وفسطاط مصر سبعة أيام.

ثم يدور تلقاء الجنوب إلى القصير، وهو مرسى للمراكب مقابل قوص بينهما خمسة أيام، ثم يدور في شبه دائرة إلى عيذاب، وأرض البجاء، ثم يتصل ببلاد الحبش، فإذا تخيل إلى البصرة، والخليج الداخل إلى القلزم كانت جزيرة العرب بين الخليجين يحيطان بثلاثة أرباع بلاد العرب.

هذه رواية ياقوت كما تقدم، أما اليوم فيسمى البحر الأحمر في جميع أجزائه نسبة إلى الشعب المرجانية الموجودة على شواطئه، والتي تجعل الملاحة فيه بقربها صعبة، ولها فائدة حربية كبرى؛ ذلك أن جيشًا غازيًا لا يستطيع إنزال قواته إلا في الموانئ المعدة، ومن عيوبه أن الموانئ على شواطئه تكلف كثيرًا، ولم يذكر ياقوت أن هذا البحر يفترق في نهايته الشمالية إلى شعبين: تسمى الشرقية خليج العقبة، والغربية خليج السويس، نسبة إلى المدينتين العربيتين الواقعتين على رأس كل منهما، والأرض التي يفترق عنها البحر، فتكون بذلك شبه جزيرة هي أرض سيناء التابعة اليوم لمصر، وهي تلك الأرض التي كانت تعرف بالتيه، وقمتها جبل الطور الوارد في القرآن الكريم: {وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ} (المؤمنون، ٢٠).

انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٤، ص ٣٨٧- عاتق بن غيث البلادي: معجم معالم الحجاز، ج ١، ص ١٨٠ - ١٨٢.

وقد قام البحارة البرتغاليون في القرون الماضية بإجراء تجارب واستكشافات في مياه البحر الأحمر، فوجدوا أن احمرار مياهه نتيجة انعكاس الشمس على الرمال الحمراء الموجودة بقاعه.

ولكن -على حسب رأي العاجز[١]- يستبعد أن يكون انعكاساً لأشعة الشمس من الأجسام الموجودة في قاعه، والتي تنفذ من سطح الماء الذي هو يعكس الضياء.

لأن هذا إذا كان محتمل الوقوع في طبقات المياه قليلة الكثافة أو بتعبير آخر المياه الضحلة، فإن احتمالية وقوعه في الأماكن العميقة ليس صحيحاً، وحتى نستطيع أن نقبل هذا الرأي، يلزم علينا حينئذ أن نرى الألوان العديدة المختلفة في البحار، وعلى أية حال فإن لون مياه البحار هو لون انعكاس لون السماء الأزرق.

وبناء على هذا فإن اللون الأحمر الظاهر في البحر الأحمر، يمكن أن يكون بسبب الحرارة الشديدة.

---

(١) **العاجز**: يقصد المؤلف نفسه، وهي كلمة كانت متداولة في ذلك الوقت تقال على سبيل التواضع .

المحاصيل والحيوانات

المحاصيل في الحجاز قليلة؛ بسبب ندرة الأمطار، والتربة الصخرية، وبالرغم من أن أجود أنواع القمح موجود في الحجاز، إلا أنه لا يفي باحتياجات الأهالي، لذا يضطرون لجلبه من نواحي بومباي والبصرة ومصر.

ولكثرة المنابع المائية في الطائف وما حولها، فإنه ينمو في حدائقها؛ العنب، والرمان، والخوخ، .. وسائر أنواع الفاكهة الأخرى.

وخلف جبل ثـــور[1] في الجهة الجنوبية لمكة يوجد مكان يسمـــى

---

(١) **ثَوْر:** بلفظ الثور فحل البقر: اسم جبل بمكة فيه الغار الذي اختفى فيه النبي ﷺ، وقال أبو طالب عم النبي ﷺ:

أعوذ برب الناس من كل طاعـن *** علينـــا بشـــرّ، أو مخلّـِـق باطـل

= ومن كشيح يسعى لنـا بمعيبـــةٍ *** ومن مفتر في الدين ما لم يحاول

وثورٍ ومن أرسى ثبيـراً مكانـــه *** وعيـر وراق فـــي حـراء ونـازل

وقال الجوهري : ثور جبل بمكة فيه الغار المذكور في القرآن، يقال له: أطحل ، وقال الزمخشري : ثور أطحل من جبال مكة بالمَفْجَر من خلف مكة على طريق اليمن، وقال عبيد الله ؛ إضافة ثورٍ إذا أريد به اسم الجبل ؛ أي : أطحل غلط فاحش ، إنما هو ثور أطحل، وهو ثور بن عبد مناة بن أدّ بن طابخة، وأطحل فيما زعم ابن الكلبي وغيره جبل بمكة.

ولد ثور بن عبد مناة عنده فنسب ثور بن عبد مناة إليه.

انظر: الزمخشري: الجبال والأمكنة والمياه، ص ١٤- عاتق بن غيث البلادي: معجم معالم الحجاز، ج ٢، ص ٩٦، ٩٧ .

الحسينية[١]؛ من جملة أوقاف أمير مكة المكرمة الشريف غالب -طاب ثراه- ولأن هذا المكان به مياه كثيرة؛ ينمو هناك: البطيخ، والليمون، والتمر والبرسيم وكل أنواع الخَضْرَاوات.

كما يوجد وادٍ خصب للغاية يسمى وادي فاطمة على مسافة خمس ساعات على طريق مكة المكرمة / المدينة.

ووادي فاطمة هذا مكان جميل، يحتوى على قرى متعددة، وحدائق ومنابع تزيد عن الثلاثمائة، والمحصول الرئيسي في وادي فاطمة هو التمر، والحناء، والليمون، كما تنبت فيه مختلف أنواع الفاكهة والخَضْرَاوات.

---

(١) **الحسينية:** كالمنسوبة إلى حُسَيْن: عين جنوب منى على (١٢) كيلو، ماؤها دبج، بها زراعة للأشراف ذوي زيد، وهم ملاّكها، وهي في وادي عُرَنَة قبيل اجتماعه بنعمان، ترى منها جنوبًا جبل كُساب، وشمالا غربيًا جبل ثور.

والحسينية أيضًا: قرية قرب تلك العين جنوبًا بكيلوين تحت برث تكتنفه سيول عرنة ونعمان، فيها سُكْنى أهل العين السابقة، وفيها مدرسة ومسجد، وسكانها الأشراف ذوي زيد وينتسبون اليوم آل زيد وهو الشريف زيد: أحد أمراء مكة من الأشراف .

انظر: عاتق بن غيث البلادي: معجم معالم الحجاز، ج ٣، ص ١٣ - ١٤ .

وعلى مسافة عشر ساعات شرق مكة المكرمة يوجد مكانان باسم: "سُولــــة"(١)، ومضيق(٢) (مضيق من جملة أوقاف الشريف غالب) طقسهما لطيف،

---

(١) **سُولة:** قال ياقوت: قلعة على رابية بوادي نخلة تحتها عين جارية، ونخل، وهي لبني مسعود بطن من هذيل، أنشدني أبو الربيع سلمان بن عبد الله الريحاني، قال: أنشدني محمد بن إبراهيم بن قَرْيَة لنفسه:

مرتعي من بلاد نَخْلة بالصيف *** بأكنـاف سُوْلـه والزَّيْمَـة
وإذا ما نجعـــت وادي مـــــرّ *** لربيــع وردتُ مــاءَ لُحَمِيه

قال عاتق البلادي: سُوْلة: وتنطق اليوم بفتح السين المهملة: عين جارية بأسفل وادي نخلة اليمانية عند مصب وادي سَبُوحة، أسفل من الزيمة، بها شجرة منقا ضخمة الحجم. قيل: إن الشريف عَوْن الرفيق هو الذي غرسها، أحضرت له من الهند، وقال لي شخص من الزواهرة: إن ثمرتها بيعت في إحدى السنين بستة آلاف ريال، وهذا المبلغ على ضخامته يساوي في حساب النقد اليوم ستين ألفاً، وسكان سولة اليوم الزواهرة: بطن من زُبيد من حرب دخل في هُذيل، وجل ملكها للأشراف، أما بنو مسعود فتقع ديارهم شمالاً على ما يقرب من خمسين كيلو، ولم يعد لهم ذكر في سولة.

انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٣، ص ٢٨٥- عاتق بن غيث البلادي: معجم معالم الحجاز، ج ٤، ص ٢٥٣ – ٢٥٤ .

(٢) **المضيق:** من الضّيق، وهو مضيق كل وادٍ: عين جارية كبيرة في وادي الفرع في مضيق بين جبل آرة جنوباً، وجبال المَعْرِض– نهاية سلسلة قدس– شمالاً، تسقى على جانبي الوادي كعين مضيق نخلة الشامية، كانت إمارة الفرع في أول عهدها أسست فيها إلى سنة ١٣٨٨هـ. ثم نقلت، أهلها بنو عمرو، فيها مستوصف صحي وموقعها ضيّق بين جبال، تصعب فيه الإقامة، تبعد عن أم العِيال اثني عشر كيلو شرقاً إلى الشمال. فيها غروس العنب، والليمون، والموز إلى جانب النخل.

وقال ياقوت: المضيق: قرية في لحف آرة بين مكة والمدينة، أغارت بنو عامر ورئيسهم علقمة بن عُلاثة على زيد الخيل الطائي، فالتقوا بالمضيق، فأسرهم زيد الخيل عن آخرهم، وكان فيهم الحطيئة، فشكا إليه الضايقة، فمن عليه، فقال الحطيئة:

إلا يكــن مــا لــيّ توباً فإنــه *** سيأتــي شيائـي زيـداً بـن مهلهـل
فما نلتنا غدراً ولكـن صبحتَنـا *** غـداة التقينـا في المضيـق بأخيـل
كريم تفادى الخيل من وقعاته *** تفادي خشاش الطير من وقع أجدل

=وأرى هذا المضيق غير المضيق المنسوب لآرة، فأين بني عامر وزيد الخيل من الفرع ؟ وما الذي حشر الحطيئة العبسي في بني عامر ؟

والمضيق: عين في مضيق وادي نخلة الشامية، كانت تعرف باسم البردان – أنظره - وهي اليوم عين ثرة تسقى على جانبي الوادي يملكها الأشراف الحرث، وأناس من هذيل. وقد نسب وادي نخلة إليها، فسمي وادي المضيق، ويسمى أيضاً وادي الليمون، ولم يعد أحد يعرف اسم نخلة اليوم؛ بل إن العين منسوبة إلى المضيق؛ حيث يضيق الوادي بين جبلين هناك، وكل مضيق هو كذلك.

انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٥، ص ١٤٦- أبو عبيد البكري: معجم ما استعجم، ص ٣١٩ - عاتق بن غيث البلادي: معجم معالم الحجاز، ج ٨، ص ١٧٩، ١٨٠ .

ومياههما الجارية كثيرة، وينموا فيهما -أيضًا- الليمون الحلو، والموز، والبرتقال.

ويزرع العربان الموجودون بالولاية الذرة الصفراء والبيضاء ويتعيشون منها.

والفاكهة الموجودة في الولاية بشكل عام أكثر من أي مكان، أما الخَضْرَاوات فهي أكثر بكثير؛ حتى إن الواحدة من نبات الكراث، أو الرأس الواحدة من الكرنب تزن حتى أربع عشرة أوقية.

ويوجد بتهامة الحجازية[1]: التمر، والتوت، والنَّبْقُ، والحناء،

---

(١) **تهامة:** هي تلك الأرض الجبلية التي تمتد من الجنوب عند الليث إلى العقبة في الأردن، بين سلسلة جبال السراة شرقاً، والسهل الساحلي غرباً. وتعتبر تهامة في الحجاز أكثر مناطقه خصباً، وأصلحها للزراعة؛ لوفرة المياه المنحدرة إليها من السراة، والعيون في الحجاز لا توجد إلا في تهامة، والمدينة، والطائف، وتبوك، أما بقية مناطقه فجدباء. وحرّ تهامة شديد، قد تصل درجة الحرارة فيها إلى ٤٨ درجة.

ويقال لها: التهم، ويقال لها: الغور أيضاً. وقال ياقوت: تِهامة بالكسر، وقد مر من تحديدها في جزيرة العرب.

ونقول هنا: قال أبو المنذر: تهامة تساير البحر، منها مكة، قال: والحجاز ما حجز بين تهامة، والعروض، وقال الأصمعي: إذا خلفت عُمان مصعداً فقد أنجدت فلا تزال منجداً =حتى تنزل في ثنايا ذات عرق، فإذا فعلت فقد اتهمت إلى البحر، وإذا عرضت بك الحرار وأنت منجد فتلك الحجاز، وإذا تصوبت من ثنايا العرج واستقبلت الأراك والمرخ، فقد أتهمت، وإنما سمي الحجاز حجازاً؛ لأنه حجز بين تهامة ونجد .

وقال الشرقي بن القطامي: تهامة إلى عرق اليمن أسياف البحر إلى الجحفة، وذات عرق، وقال عمارة بن عقيل: ما سال من الحرتين: حرة سليم، وحرة ليلى، فهو تهامة، والغور حتى يقطع البحر، وقال الأصمعي في موضع آخر: طرف تهامة من قبل الحجاز مدارج العرج، وأول تهامة من قبل نجد ذات عرق والمدارج الثنايا الغلاظ .

وقال المدائني: تهامة من اليمن، وهو ما أصحر منها إلى حدّ في باديتها، ومكة من تهامة، وإذا جاوزت وجرة وغمرة والطائف إلى مكة فقد أتهمت، وإذا أتيت المدينة فقد جلست، وقال ابن الأعرابي: وجرة من طريق البصرة فصل ما بين تهامة ونجد .

وقال بعضهم: نجد من حد أوطاس إلى القريتين ثم تخرج من مكة، فلا تزال في تهامة حتى تبلغ عسفان بين مكة والمدينة، وهي على ليلتين من مكة، ومن طريق العراق إلى ذات عرق هذا كله تهامة، وسميت تهامة لشدة حرها، وركود ريحها، وهو من التهم، وهو شدة الحر، وركود الريح، ويقال: تهم الحر إذا اشتد، ويقال: سميت بذلك لتغير هوائها، ويقال: تهم الدهن إذا تغير ريحه.

وحكى الزيادي عن الأصمعي؛ قال: التهمة الأرض المنصوبة إلى البحر، وكأنه مصدر من تهامة، وقال المبرد: إذا نسبوا إلى تهامة قالوا: رجلٌ تَهامٍ بفتح التاء، وإسقاط ياء النسبة، كما قالوا: رجل يمانٍ، وشامٍ؛ إذا نسبوا إلى اليمن والشام، وقال إسماعيل بن حماد: النسبة إلى تهامة تهامي، وتهامٍ، وإذا فتحت التاء لم تشدد الياء، كما قالوا: رجل يمانٍ وشآمٍ إلا أن الألف من تهام من لفظها، والألف من شام ويمان عوض من ياء النسبة.

قال ابن أحمر:

وأكبادهم كابنيَ سُبَاتٍ تفرّقوا *** سبا ثم كانوا منجداً وتهاما

وألقى التهامـي منهمـا بِلَطَاتـه *** وأخلط هذا لا أريـم مكانيـا

وقوم تهامون كما يقال: يمانون، وقال سيبويه: منهم من يقول: تهامي، ويماني، وشامي، بالفتح مع التشديد .

وقال زهير:

يحشّونهـا بالمشرفيّـة والقنـا *** وفتيان صدق لا ضعاف ولا نكل

تهامون نجديون كيداً ونُجْعة *** لكل أناسٍ من وقائعهـم سجـل

والتمر الهندي، كما يوجد في جبل كرا: شجر السرو الجبلي، واللوز، والياسمين، والزيتون الجبلي، وتوجد في كل أنحاء الولاية: الأغنام، والإبل، والخيول، والحمير، والبغال، والهجين، والأبقار، والثيران.

ومن الحيوانات البرية -أيضاً- الثيران والحمير والأغنام والأرانب والضباع والذئاب والقرود الجبلية، كما يوجد بسفح جبل كبكب(١)

واتهم الرجل إذا صار إلى تهامة، وقال بعضهم:

فإن تتهموا أنجد خلافاً عليكمُ *** وإن تُعْمِنوا مستحقبي الحرب أعرِق

= والمتهام: كثير الإتيان إلى تهامة.

قال الراجز: إلا اتهماها إنها متاهيم *** وأننا مناجد متاهيم

وقال حُمَيد بن ثور:

خليل هبا علّلاني، وأنظرا *** إلى البرق ما يفري سنا وتبسما

عروض تدلّت من تهامة أهديتْ *** لنجد، فتاح البرق نجداً واتهما

قال عاتق البلادي: كل ما تقدم لا يخرج عن الصواب؛ غير أنه يشوبه كثرة التكرار، وعدم دقة التحديد، فكاتبوه بعيدون عن تهامة، ويأتون حاجين، فلا يرون منها إلا ما حول مكة، وتهامة: كل ما بين البحر والسراة من قعر عدن جنوباً إلى العقبة شمالاً، وعكس تهامة الجلس، وهو ما سال ماؤه في الجهة الأخرى من السراة، والسراة: سلسلة جبلية تمتد من اليمن قرب صنعاء محاذية البحر الأحمر من الشرق بينهما تهامة، فتظل تسايره حتى تتصل بجبال الكرك في الأردن.

ولم يورد أبو عبيد في تهامة قولاً يستحق تسجيله هنا.

انظر: المقدسي البشاري: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، دار صادر، بيروت، مصورة عن طبعة ليدن، ١٩٨٥، ص ٣٤- الحميري: الروض المعطار، ص١٤١- الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص ٥٩- ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ١، ص٤٤٠- عاتق بن غيث البلادي: معجم معالم الحجاز، ج ٢، ص ٤٧ – ٥١ .

(١) **كَبْكَب:** بالفتح والتكرير، قال ياقوت: علم مرتجل لاسم جبل خلف عرفات مشرف عليها، قيل: هو الجبل الأحمر؛ الذي تجعله في ظهرك إذا وقفت بعرفة، وهما كَبْكَبان: فكبكب من ناحية الصفراء، وهو نقيب يطلعك على بدر، وكبْكب آخر يطلعك على العرج، وهو نقب لهذيل.

قال الأصمعي: لهذيل جبل يقال له كبكب، وهو مشرف على موقف عرفة، وقال ساعدة ابن جؤية الهذلي: كِيدُوا جميعاً بأناس كأذّهُم *** أفنادُ كبكب ذات الشتّ والخَزِم

أفناد، جمع فِنْد: وهو الشمراخ من شماريخ الجبل، وهو طرفه، وما تدلّى منه، ونجد كبكب: موضع آخر. قال امرؤ القيس:

= تبصّر خليل هل ترى من ظعائن *** سوالك نقباً بين حَزْمَيّ شَعَبْعَبِ ؟

فريقان منهم قاطع بطن نخلة *** وآخر منهم جازعٌ نجد كَبْكَبِ .

وقال البكري: هو الجبل الأحمر الذي تجعله خلف ظهرك إذا وقفت مع الإمام بعرفات. وقال الأخفش: هو الجبل الأبيض عند الموقف.

قال الطوسيّ: وهو مؤنث. قال الأعشى:

وتُدْفَنُ منه الصالحاتُ وإنْ يسيء *** يكن ما أساء النار في رأس كَبْكَبا

حيوان يسمى الفهد يشبه النمر إلى حد كبير، وهذا الحيوان يألف الإنسان بسهولة.

ويوجد بالولاية من الطيور: الدجاج، والديك الرومي، والبط، والإوز، وطائر الحجل، والحمام. ويوجد في النواحي الصحراوية النعام، وفي الحدائق التي يطلقون عليها غرب القطاع يوجد: السبيطر (مالك الحزين) والحُبَارَى، والحمام، والعُقاب، والغراب، والهدهد، والنَّسْرُ.

فلم يصرفه، قال أبو حاتم: كبكب، ثَنيَّة، ولذلك لم يصرفها، وكبكب: هو الذي كان ينزله سامة بن لؤي، فغاضب قومه، فرحل إلى عمان، قال المُتلمس:

كانوا كَسَامة إذ شعَّف منازِله *** ثم استمرت به البُزْلُ القناعيسُ

وله نجد يضاف إليه، ويقال: نجد كبكب، وقد ذكرت كبكب في رسم اللّبين، ورسم نخلة.

والبزل القناعيس: الجمال المسنة الضخمة القادرة على السير.

قال عاتق البلادي: أما قوله: الجبل الأحمر الذي تجعله خلف ظهرك إذا وقفت مع الإمام. خطأ. وكذلك قوله: هو الجبل الأبيض عند الموقف، فأولاً ليس هناك جبل أحمر ولا أبيض باللونين المعروفين، ولكن هناك جبل أشهب يشرف على سهل عرفة من مطلع الشمس؛ ذاك يسمى ملحة.

أما كبْكَب: فجبل أسمر ضخم يرتفع قرابة (١٧٥٠) متراً عن سطح البحر؛ لا تراه من عرفة بينك وبينه جبل سد، وبينهما ثنية الوصيق، ويقع كبكب بين وادي نعمان جنوباً شرقياً، وعُرَنة منه غرباً وشمالاً، يمتد في الأرض بين ثنية الوصيق جنوباً غربياً وثنية الشراء شمالاً شرقياً، ومسافته أزيد من ثلاثين كيلو، في رأسه مياه ونزل من هذيل، ويسيل منه غرباً ذوو المجاز، وأودية أخرى منها وادي الخيام، ووادي برقة، وشرقاً وادي الكباكبة، وغيره.

أما قوله: كبكب بالصفراء، فما سمعت به، أما قوله: وكبكب آخر يطلعن على العرج، وهو لهذيل، فهو خلط وإقحام، وما ذكرت العرب في أشعارها نجد كبكب هذيل، وقوله: غير كبكب، وهو مرتفع من أرض المغمس يظلله كبكب صباحاً.

انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٤، ص ٤٣٤- أبو عبيد البكري: معجم ما استعجم، ص ٣٠٥ - الزمخشري: الجبال والأمكنة والمياه، ص ٢٤ - الأزرقي (أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد الأزرقي): أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، دراسة وتحقيق: علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ٢٠٠٨، ج ١، ص ١٢٥، ١٦٠- عاتق بن غيث البلادي: معجم معالم الحجاز، ج ٧، ص ١٨٥ - ١٨٨ .

ومن الحشرات يوجد العقرب المسمى لادغ[1]، ومن المخلوقات البرية توجد: الضفادع الضخمة، والسمك الطائر، والسمك الغريب الشكل.

ويتم تجفيف السمك ، ونقله إلى الأماكن الداخلية ، كما يتم -أيضاً- استخراج الصدف (المحار).

(١) نوع من العقارب السامة، يتواجد بكثرة في وادى فاطمة، اسمه في التركية (بوي)، في حجم كف اليد، إذا ما لدغ أي شيء يميته في غضون ثلاث ساعات، لسان هذا العقرب مشقوق لنصفين، وله أربع إبر سوداء، سريع السير، يفر من الضوء، إذا ما لدغ إنساناً (حفظنا الله) يجب كيه بالنار على الفور في المكان الملدوغ، وإلا لن يزول تأثير السم، ولن ينجو هذا الشخص من الهلاك .

التقسيمات الملكية والأحوال الإدارية

تضم ولاية الحجاز ثلاثة سناجق هي: مكة المكرمة والمدينة المنورة وجدة[١].

(١) **جُـدَّة**: بضم الجيم وتشديد الدال المهملة، وهاء. مدينة رائعة العمران والتنسيق، هي الميناء الرئيسي اليوم في الحجاز، يؤتى لها من ثلاث وسائل: البر، والبحر، والجو، ومطارها عالمي تحط فيه جميع الطائرات. وتجارتها تسيطر على معظم الجزيرة العربية، وتعتبر العاصمة الدبلوماسية للمملكة العربية السعودية؛ حيث يوجد بها مقر وزارة الخارجية، وجميع السفارات الأجنبية، وجوها حار رطب في الصيف، ودافئ رطب في الشتاء. ولذا تعتبر أقل ملاءمة للصحة من مكة المكرمة، والمدينة المنورة؛ حيث يسود الجفاف، وكانت البادية وأهل نجد وجميع الصحراويين لا يألفون جدة؛ حتى تركزت فيها المصالح، فأصبحت محط أنظار طلاب الثروة، وانتشر نظام تكييف الهواء.

وقال أحد النجديين، ويقال: إنه سعود بن عبد العزيز:

عسى الحيا ما يجي جدة *** لو ربّعت كل الأوطان

ديرة حشاحيش ومصدّه *** ما به للأجواد مسكان

وهذا طبعاً في زمان تقدم، تبعد جدة ٧٣ كيلو غرب مكة، و٤٢٠ كيلو جنوب المدينة، ولها مع كل منهما طريق معبدة، وعلى نظام القوافل القديم تبعد عن مكة مرحلتين، وعن المدينة عشر مراحل، وفي جدة جامعة الملك عبد العزيز، وفرع من إمارة منطقة مكة المكرمة.

وقال ياقوت: جدة: بالضم والتشديد، والجدة في الأصل الطريقة، والجدة الخطة التي في ظهر الحمار تخالف سائر لونه.

وجُدة: بلد على ساحل بحر اليمن، وهي فرضة مكة، بينها وبين مكة ثلاث ليال، عن الزمخشري، وقال الحازمي: بينهما يوم وليلة، وهي في الإقليم الثاني، طولها من جهة المغرب أربع وستون درجة وخمس وأربعون دقيقة.

قال أبو المنذر: وبجدة وُلد جُدّة بن حزم بن ريان بن حلوان بن عمرو بن الحاف بن قضاعة، فسمي جدة باسم الموضع. قال: ولما تفرقت الأمم عند تبلبل الألسن صار لعمرو بن معد بن عدنان وهو قُضاعة، لمساكنهم ومراعي أغنامهم جدة وشاطئ البحر وما دونها إلى منتهى ذات عرق؛ إلى حيز البحر من السهل إلى الجبل، فنزلوا وانتشروا فيها، وكثروا بها.

قال أبو زيد البلخي: وبين جدة وعدن نحو شهر، وبينها وبين ساحل الجحفة خمس مراحل، وينسب إلى جُدة جماعة؛ منهم: عبد الملك بن إبراهيم الجدي، وعلي بن محمد = ابن علي بن الأزهري أبو الحسن العليمي المقري القطان، يعرف بالجدي، سمع أبا محمد بن أبي نصر، وأبا الحسن أحمد بن محمد العتيقي، وأبا بكر محمد بن عبد الرحمن القطان، روى عنه عبد الله بن السمرقندي. ومولده سنة ٣٩٠هـ، ومات سنة ٤٦٨هـ.

قال عاتق البلادي: وقوله: بينها وبين مكة ثلاث ليال، خطأ، والصواب كما قال الحازمي يوم وليلة، أو على نظام القوافل مرحلتان من مكة إلى بحرة، ثم إلى جدة.

وقال أبو عبيد البكري: بضم أوله: ساحل مكة، معروفة سميت بذلك ؛ لأنها حاضرة البحر، والجُدّة من البحر، والنهر ما وَلَي البر، واصل الجدة: الطريق الممتدة. وغزا الأحباش جُدة سنة ١٨٣هـ.

وغزاها إسماعيل الأخيضر سنة ٢٥١هـ، فنهبها وقتل أهلها قتلاً ذريعاً، ووليها الجراشي التاجر للشريف حسن بن عجلان سنة ٨٠٦هـ، وجدد سورها الشريف غالب سنة ١١١٦هـ. ودخلها أول قنصل إنجليزي سنة ١٢٥٢هـ، وفي سنة ١٢٧٥هـ دخلها محمل مصري عن طريق البحر.

ولا يوجد قضاء[1] بسنجق مكة سوى قضاء مكة، أما سنجق المدينة فيوجد به قضائي المدينة وينبع البحر[2]،

ويطول الحديث عن جدة التي أصبحت اليوم من أكبر مدن الجزيرة العربية. وقد ألف الأستاذ عبد القدوس الأنصاري كتاباً خاصاً بتاريخها، وكتاباً آخر أسماه: "التحقيقات المعدة في حتمية ضم جيم جُدّة. ولكن رغم كل النصوص المثبتة أن صواب جدة هو بضم الجيم، تجد شعراء وكتاباً يكسرونه، ويقال إن من بناها الفرس، وهي رواية ابن المجاور رجل فارسي رحال جاء إلى جُدة سنة ٦٢٠هـ .

وقيل: بل بناها يزد جرد بن برويز بن يزد جرد بن شهريار بن بهرام. (العرب، ص ١٩٥، جـ ٣ س ٢).

وأول من اتخذ جدة ميناء: الخليفة عثمان، وكانت الشُّعيبة هي الميناء، وفي القرن العاشر بني عليها سور ثم هدم في الستينيات من القرن الرابع عشر.

انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٢، ص١١٤- أبو عبيد البكري: معجم ما استعجم، ص ١٠٦ - المقدسي: أحسن التقاسيم، ص ٣٠ - الحِميري: الروض المعطار، ص ١٦٤- عاتق بن غيث البلادي: معجم معالم الحجاز، ج ٢، ص ١٣٠ - ١٣٤ .

(١) التقسيمات الإدارية في الدولة العثمانية كانت مقسمة إلى إيالات، والإيالات إلى سناجق، والسناجق إلى أقضية، والأقضية إلى نواح، والنواحي إلى قرى.

سهيل صابان: المعجم الموسوعي، ص ٤٥

(٢) **ينبع البحر:** مدينة على الساحل الشرقي للبحر الأحمر، هي ميناء المدينة المنورة، تقع شمال جدة على بُعد ٣٥٤ كيلومتر ، وعن المدينة ٢٥٠ كيلومتر غرباً عن طريق بدر ، = يجتمع الطريقان في المفرق غرب بدر ببضعة كيلومترات. وتكون قبيلة جهينة الغالبية في السكان، وهي تسكن برها كله، وهواؤها رطب حار صيفاً، دفيء ممطر شتاءً، بها إمارة تابعة لإمارة المدينة المنورة، ومدارس للبنين والبنات، ومطار جوي، وطرقها مع المدينة ومكة وجدة كلها معبدة. وسميت ينبع البحر؛ تمييزاً لها عن ينبع النخل الذي كان هو الأصل في الاسم، ثم أسست هذه المدينة حوالي القرن الرابع الهجري، وبالأحرى بعد خراب الحوراء، فأطلق عليها هذا الاسم، كان تأسيسها في زمن دولة بني أيوب.

انظر: عاتق بن غيث البلادي: معجم معالم الحجاز، ج ١٠، ص ٣٩، ٤٠.

وكذا سنجق جدة يوجد به قضائي جدة وليث، مدينة مكة المكرمة هي مركز الولاية، ويمنح متصرف[١] جدة أي والي الحجاز لقب شيخ الحرم النبوي[٢].

مدن الحجاز الكبرى هي: مكة، والمدينة، وجدة، والطائف. وبولاية الحجاز مواني، ومدن، وقلاع مشهورة على سواحل البحر الأحمر؛ مثل: الليث[٣]

---

(١) **متصرف** Mutasarrıf: كان التشكيل الإداري في الدولة العثمانية قبل عهد التنظيمات على هذا النحو: السناجق تشكل الولايات، والأقضية تشكل السناجق، والنواحي (البلدات) تشكل الأقضية، وكانت الولايات تحت إدارة أمير الأمراء، والسناجق تحت أمير السناجق؛ حيث كانوا أمراء إداريين وفي الوقت ذاته قواداً عسكريين. أما في عهد التنظيمات فقد فصلت القيادة العسكرية والإمارة الإدارية عن بعضها بعضاً، فأصبحت كل واحدة منها مستقلة، فألغى منصب أمير السنجق، ووضع مكانه موظف سمي بالمتصرف، وعلى هذا فعدة أقضية كانت تشكل متصرفية، وعدة متصرفيات تشكل ولاية.

سهيل صابان: المعجم الموسوعي، ص ٢٠٠

(٢) كان يختار من رجال القصر العثماني ممن يحملون رتبة (قيزلار أغاسي) أي المسئول عن الحريم في القصر، ثم أصبح يختار من بين الوزراء من العائلة السلطانية أو من السلك العسكري برتبة مشير أو فريق، ووظيفته إدخال الشمعدان الذي يوضع عند الرأس الشريف قبل الغروب .

انظر: محمد الأمين المكي: خدمات العثمانيين، ص ٦٣ .

(٣) **الليث:** بكسر أوله ومثناة تحت ساكنة ثم مثلثة: وادٍ وبلدة في الجنوب الغربي من الحجاز، يأخذ وادي الليث من السراة الواقعة جنوب الطائف على قرابة سبعين كيلو، فيدفع غرباً بين وادي يلملم شماله، والشاقة السامية جنوبه، وهو وادٍ فحل كثير القرى =والزرع، له روافد عظيمة تجعل سيله جارفاً، وفيه قبائل كثيرة من حرب وكنانة وبجالة وبني يزيد وغيرهم.

انظر: الزمخشري: الجبال والأمكنة والمياه، ص ٢٥- ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٥، ص ٢٨- أبو عبيد البكري: معجم ما استعجم، ص ٣١٧ - عاتق بن غيث البلادي: معجم معالم الحجاز، ج ٧، ص ٢٦٩، ٢٧٠.

وجدة، ورابغ(١) ، ورايس(٢) ، وينبع البحر ، والوجه(٣) ،

---

(١) **رابغ:** بفتح الراء وبعد الألف موحدة، فغين معجمة: بلدة حجازية ساحلية، بين جدة وينبع، على بعد ١٥٥ كيلو من جدة شمالاً، و١٩٥ كيلو من ينبع جنوبًا، وهي إحدى الموانى الصالحة لرسو السفن، فيها إمارة تابعة لمكة، وإدارة تعليم تضم مدارس ثانوية ومتوسطة وابتدائية للبنين والبنات، ومحكمة شرعية وبلدية وشرطة، ويبلغ عدد سكان رابغ ثلاثين ألفًا، وهو في زيادة مستمرة، ورابغ بلدة زراعية، واديها مرّ عُنيب، ويطلق عليه اليوم "مرّ".

ويقال: وادي رابغ، سكانها زُبيد من حرب، وحكامها آل مُبَيريك: أسرة صارت إليها الإمارة في زبيد، ومن والاهم من بني عمرو بعد سقوط أسرة العسوم قوم رومي، وقد فصلت أخبارهما في كتاب " نسب حرب "، وسكانها في الأصل قبيلة زبيد من حرب، والغوانم خاصة، وقد دخل فيها أخلاط من الناس من: هنود، ومصريين وحضارم، اصطبغوا بصبغة تلك القبيلة، فانتسبوا إليها.

وكان قد تعاقب على رابغ: مبيريك: مؤسس هذه الأسرة، ثم أكبر أبنائه عرابي ثم أخيه حسين: عاصر الحسين بن علي، وله دور مضاد للثورة العربية الكبرى، ثم إسماعيل بن مبيريك: وهو أحسن من حكم رابغ، عاصر الملك عبد العزيز، ثم سالم بن إسماعيل: عاصر الملك سعودًا وفيصلاً، ثم قابل بن سالم: عاصر الملك فيصلاً، ثم عزل لمآخذ عليه، ثم محمد بركة. قال شاعر حرب:

رابغ وما في ريعها من جهام *** ما واحدٍ مثلك بصرتهْ بالأعيانْ

وأهل المخا والقنفذة والحزامي *** مثل البُوشَ وانتهْ على الكل سلطانْ

وهذا الشعر يبدو لي أنه على رابغ النقيع، لأن الشاعر قال:

وما في ريعها من جهام، وليس في رابغ المدينة ريع ولا جهام.

قال ياقوت: رابغ بعد الألف باء موحدة وآخره غين معجمة واد يقطعه الحاج بين البزواء والجحفة دون عزور. قال كثير:

أقول وقد جاوزن من صدر رابغ *** مهامه غبرا يفرع الأكم آلها

أألحي أم صيران دوم تناوحت *** بتريم قصرا واستحثت شمالها

= أرى حين زالت عير سلمى برابغ *** وهاج القلوب الساكنات زوالها

كأن دموع العين لما تخللت *** مخارم بيضا من تمنى جمالها

انظر: الزمخشري: الجبال والأمكنة والمياه، ص ٣٠ - ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٣، ص ١١- أبو عبيد البكري: معجم ما استعجم، ص ١٧٥- عاتق بن غيث البلادي: معجم معالم الحجاز، ج ٤، ص ٥ – ٦ .

(٢) **الرّايِس:** راء مهملة، فألف، فمثناة تحت، وآخره سين مهملة معرفًا: قرية، ساحلية تقع قرب مصب وادي الصفراء في البحر على رأس خليج غبة الرويس، وغبة الرويس هذه ليست رويس جدة، والرايس اليوم ميناء للصيد، سكانه زُبيد، وبني صَبْح من حرب، فيها مركز إمارة تابع لبدر، على مائة كيلومتر شمال رابغ، و٥٥ كيلومتر شمال غربي مستورة، وفيها نخيلات قد أهملت، ومخفر لخفر السواحل، والجار منها على عشرة كيلومتر شمالاً.

انظر: عاتق بن غيث البلادي: معجم معالم الحجاز، ج ٤، ص ١٥ .

(٣) **الوَجْهُ:** بلفظ وجه الإنسان: بلدة حجازية تهامية تقع على خط عرض ١٤، ٢٦° وخط الدول ٢٧ و ٣٦°، وهي عامرة تتقدم بسرعة، بها إمارة ومدارس ومحكمة ومستشفى حديث ومطار، وفنار تهتدي به السفن، ارتفاعه ١٣٥ مترًا، وفيها قلعة من بقايا العهد العثماني، باديتها قبيلة بَلي، وسكانها خليط من الناس، ويغلب عليهم الطابع المصري؛ لقربها من ساحل مصر، من أشهر بيوتها بيت البديوي، تقع شمال ينبع شمال مصب وادي إضم، وكانت ميناء لتصدير السمن والغنم والفحم إلى مصر، ثم منع تصدير ذلك. ومن حاصلاتها السمك ولأهلها خبرة طيبة في الصيد، وقيل إن سكان الوجه سنة ١٣٩٩هـ بلغوا عشرين

والمويلح[1].

وقد دخلت الحجاز حوزة الحكومة العثمانية في عام ٩٢٣هـ عندما قام الخليفة الأول من آل عثمان السلطان سليم[2] -جعل الله مثواه الجنة- بفتح مصر، ولما كانت السواحل الشرقية والغربية للبحر الأحمر في يد دولة الشراكسة، فقد انتقل حكمها إلى اليد المؤيدة للدولة العثمانية مع كافة الأراضي المصرية، ولأن الشريف بركات الذي كان أميراً على مكة المكرمة -في ذلك الوقت-قد عرض طاعته وتبعيته للدولة العثمانية، فقد أصبحت الدولة العثمانية -منذ ذلك الوقت- هي خادمة الحرمين الشريفين، وهى الحاكم على قطعة الحجاز الفسيحة. **والحادثة على ما يلي:**

ألفاً. وأسست فيها سنة ١٣٩٩هـ أيضاً محطة لإزالة ملوحة مياه البحر، قيل إن ماءها سيفيض عن حاجة سكانها، وقال في ذلك الأستاذ أسعد جمجوم:

إذا زاد ماء " الوجه " زاد جماله *** ويلقاك بالوجه البشوش رجاله

فكل وجوه الناس في " الوجه " فرحة *** وانعم بـ " وجهٍ " قد تحسن حاله

فلا عاد لـ " الوجه " الجميل جفافه *** إذا شاء رب العرش جل جلاله .

وقد استوحى الشاعر هذه الأبيات من البيت العربي الشهير الذي يقول:

إذا قل ماء الوجه قل حياؤه *** ولا خير في وجه إذا قل ماؤه.

انظر: عاتق بن غيث البلادي: معجم معالم الحجاز، ج ٩، ص ١٢٩، ١٣٠ .

(١) **المويلح:** تصغير مالح: ميناء على ساحل البحر الأحمر الشرقي، شمال ضبة، يصب عليها وادي صُرّ، من الشرق من جبل الجمّ وشار، والمسافة بين المويلح وضبة قرابة "٥٠" كيلو، سكانها الحُوَيْطات، فيها مركز إمارة ومدرسة وترفأ إليها قوارب صيد الأسماك. وقال بَحريّ: اللهُ من قلبٍ غدا في انصرام *** وبين المُوَيْلح من بو حادي وذهبانْ

قال " بو " لضرورة الوزن، والمكان أبو حادي. شمال رابغ على البحر.

= وكان المويلح يسمى النَبْك، ويبدو أن هذا الاسم أتاه من ملوحة مائه.

وفي المويلح قلعة أثرية تاريخية لا زالت ماثلة.

انظر: عاتق بن غيث البلادي: معجم معالم الحجاز، ج ٨، ص ٢٩٧، ٢٩٨.

(٢) السلطان سليم الأول (٩١٨ – ٩٢٦ هـ/١٥١٢-١٥٢٠م)

قام الشريف بركات[1] بإرسال ابنه الشريف أبو نمى[2] بمفاتيح الكعبة المعظمة، وبعض المتعلقات النبوية المقدسة إلى السلطان سليم الذي كان موجوداً في مصر، وبعد أن قام أبو نمى بإجراء مراسم التهنئة والتبريك وعرض الطاعة والتبعية على السلطان سليم، عيّن السلطان سليم وقفا كثير الغلة للحرمين، كجراية القمح، وخروج المحمل والكسوة من مصر، وأكرم الشريف "أبو نمى"، وأعزه في أحسن صورة، وعند عودة الشريف "أبو نمى" منحه السلطان سليم المنشور والتشريفات والتسبيل، وكان بين هذه التشريفات خلعة فاخرة، ارتداها الشريف أبو البركات وطاف بالكعبة سبعة أشواط، دعا في آخرها للسلطان سليم بطول العمر والقوة، ثم جلس في المقام الحنفي وأقبل عليه الجميع ليهنئوه.

---

(١) **بركات بن محمد (٨٥٨ - ٩٣١هـ = ١٤٥٤ - ١٥٢٥م)**

بركات بن محمد بن بركات بن الحسن ابن عجلان: شريف حسني. ولد بمكة وولي إمارتها بعد وفاة أبيه سنة ٩٠٣هـ. وكان فاضلا شجاعا حسن التدبير. له وقائع كثيرة مع إخوانه. واستعان عليه الأتراك بأخيه هزاع، فقبضوا عليه سنة ٩٠٧هـ وكبلوه بالحديد وحملوه إلى مصر، فهرب من مصر ورجع إلى مكة فملكها سنة ٩٠٨هـ، واستمر فيها إلى أن توفي .

الزركلي: الأعلام، ج ٢، ص ٥٠

(٢) **الشريف أبو نمي (٩١١ - ٩٩٢ هـ = ١٥٠٦ - ١٥٨٤ م)**

محمد بن بركات بن محمد بن بركات بن الحسن بن عجلان، أبو نمي: شريف حسني من أمراء مكة. ولد فيها، وشارك أباه في حكمها. ثم وليها منفردا بعد وفاة أبيه (سنة ٩٣١هـ(، وطالت مدته، وكثرت أخباره، وتوفي بمكة. وهو يعرف عند أشرافها بـ (صاحب القانون) لأنه جمع أنسابهم وجعل لهم فيها قانونا .

الزركلي: الأعلام، ج ٦، ص ٥٣

وبعد أن دخلت الحجاز الإدارة العثمانية على هذه الصورة أديرت فترة تحت مسمى إمارة أمراء سنجق جدة ومعمورة، ثم أديرت فترة تحت مسمى ولاية إيالة[١] جدة، ثم ضُمت إيالة الحبشة[٢] إلى جدة،

وأصبح والي جدة والحبشة مكلفا بمشيخة الحرم المكي، مع ولايته.

وبينما كانت جدة هي مقر الوالي قديما، عُدت هذه المنطقة المباركة ولاية في التشكيل الجديد، وسميت ولاية الحجاز، وأصبحت مكة هي مقر الولاية.

ولأن المناسبة اقتضت ذكر كيفية فتح وضم إيالة الحبشة، فسنذكرها هنا، **وهي على ما يلي:**

في عام ٩٦٢هـ قدم"أوزدمير باشا" من بقايا الشراكسة المصريين إلى استانبول، وعرض طاعته على عتبة الخلافة الكبرى التي هي ملجأ الإسلام.

---

(١) **إيالة** Eyalet: أكبر التقسيمات الإدارية في الدولة العثمانية، فقد كانت الدولة مقسمة إدارية إلى إيالات، والإيالات إلى سناجق، والسناجق إلى أقضية، والأقضية إلى نواح، والنواحي إلى قرى، ولقد أشرف على الإيالات في الدولة العثمانية أمير الأمراء، ثم الوزراء بعد القرن السادس عشر الميلادي؛ حيث كانوا يمثلون السلطان، ويجمعون بين الحكم الإداري والعسكري للإيالة، ولهم النفوذ المطلق –ما عدا الحالات القضائية– عليها.

سهيل صابان: المعجم الموسوعي، ص ٤٥

(٢) **إيالة الحبشة:** تشكلت إيالة الحبشة سنة ١٥٥٤م وضمت: مصوع، وسواكن، وجدة، وفي بعض الأحيان كانت جدة تنفصل إداريا عن إيالة الحبشة وتنضم إلى إيالة الحجاز .

وقد أطلق العثمانيون على إيالة الحجاز اسم (حبش إيالتي/إيالة الحبش) وذلك أنه قد حدث في أوقات كثيرة أن دمجت سواحل البحر الأحمر (من السودان، إريترية، الصومال، الحبشة، الحجاز) بالإيالة ذاتها. كما أن والي الحبشة أو الحجاز كان يقيم أحيانا في جدة، وأحيانا أخرى في مكة، ونادرا في سواكن، وفي عهد التنظيمات تأسست إيالة الحجاز وكان مركزها مكة.

يلماز أوزتونا: تاريخ الدولة العثمانية، ترجمة عدنان محمود سلمان، منشورات مؤسسة فيصل للتمويل، استانبول، ١٩٨٨، ج ٢ص٦١٣، ٨١٤ .

فوجد المشار إليه حسن القبول في استانبول، وكُلف بالذهاب إلى مصر ومن هناك إلى سواكن[1] عبر طريق الصعيد، وبنى عدة قلاع.

وبالرغم من أن سواكن في تلك الفترة كانت من ملحقات إيالة مصر، إلا أنها كانت قصبة صغيرة مجردة من كل أسباب العمران.

وقد قام أوزدمير باشا ببذل همة كبيرة في تعمير قصبة سواكن، فعمرها وأحياها بسرعة فائقة وعناية خاصة يمكن عدها من الخوارق، وبفضل تلك الجهود اكتسبت المنطقة عمرانا كبيرا، وفي النهاية عزم أوزدمير باشا على فتح بلاد الحبشة كلها، ولأنه فتح قسماً كبيراً منها، تشكلت إيالة الحبشة، وكانت هذه الإيالة تضم سواكن ومصوع الواقعتين على الساحل، بخلاف الأراضي الفسيحة الموجودة بالداخل.

وفى عام ٩٦٧هـ توفي أوزدمير باشا العالي الهمة في بلدة (داراردا) الواقعة بوسط إقليم الحبشة، وقام ابنه عثمان باشا بنقل نعشه إلى بلدة مصوع ودفنه هناك، وأمر بإنشاء قبر له -رحمه الله تعالى-.

---

(١) إحدى مدن إيالة الحبشة .

ويقول تاريخ بجوي:

"كان أوزدمير باشا يغير قميصا وسروالا واحدا كل ستة أشهر لأنه كان رجلا شجاعا عاشقا للجفاء، وكان يرتدي في إقليم الحبشة مشلحا من الصوف مبطنا بالفراء صيفاً وشتاءً، وقد نال ابنه عثمان باشا من بعده فتوحات كثيرة".

وقد ارتقى لمنصب الصدارة العظمى[١] بفضل ميزته هذه، وبالرغم من عدم التمكن من الاعتناء بالأجزاء الداخلية في ولاية الحبشة بسبب بعدها عن مركز السلطنة ووجود بعض الأسباب المانعة الأخرى، إلا أن السواحل الغربية للبحر الأحمر-ولاسيما مدينتي مصوع وسواكن- ظلتا ملحقتين بإيالة جدة تحت مسمى إيالة الحبشة حتى عام ١٢٨١ رومي[٢].

---

(١) **الوزير الأعظم أو الصدر الأعظم:** الشخص الذي حاز منصب رئيس الوزراء في الدولة العثمانية، وكان وكيلاً مطلقاً للسلطان، وللتفريق بينه وبين غيره من الوزراء أطلق عليه الوزير الأعظم، كما لقب بالصدر العالي وصاحب الدولة، غير أن لقب الصدر الأعظم انتشر أكثر من غيره، واستمر استخدامه إلى اضمحلال الدولة العثمانية.

وكانت لديه صلاحيات كافة الأمور في الدولة، وكان لديه ختم السلطان، وكان رئيساً للديوان الهمايوني، وكافة الأوامر التي تصدر لنصب أو عزل أو قتل كانت تصدر منه. إلا أنه كان يستأذن للسلطان في موضوع يتعلق بأحد الوزراء أو القاضي عسكر أو شيخ الإسلام، وكذلك في توجيه التيمارات الأعلى من ٥٩٩٩ آقجة، لكن في حال الغزو أي الحرب لم يكن يستأذن من السلطان حتى في هذه الأمور، كما أن الطلب الذي كان يقدمه للسلطان كان حرياً بالموافقة والاستجابة من حيث الأصول المتبعة، مع أن السلطان لديه كافة الصلاحيات في عزل الصدر الأعظم من منصبه أو حتى قتله، وكان يطلق على الدائرة التي يعمل فيها الصدر الأعظم باب الباشا، والباب الآصفي.

سهيل صابان: المعجم الموسوعي، ص ١٤٣-١٤٤ .

(٢) **السنة الرومية أو المالية** Rumi Yıl = Mali Sene: اسم للتاريخ المستخدم عند العثمانيين منذ عام ١٢٠٥هـ (١٧٩٠م). ويذكر في الوثائق الرسمية بالسنة المالية، ونظراً لتقيده بالشهور الشمسية، واعتبار بداية السنة فيه "شهر مارس"، فيطلق عليه أيضاً التاريخ الرومي. والفرق بين هذا التاريخ والتاريخ الميلادي ٥٨٤ سنة، فإذا أضيفت له ٥٨٤ سنة كان التاريخ الميلادي، وإذا طرح منه التاريخ الميلادي كان التاريخ الرومي ... ولم ينته العمل بالتاريخ الهجري بعد قبول التاريخ الرومي، فقد استخدم التاريخان في الأوراق الرسمية . سهيل صابان: المعجم الموسوعي، ص ١٣٥-١٣٦

ومن أجل الحفاظ على أحكام منع تجارة الرقيق، وإصلاح أحوال عربان ناحية تاكه الواقعة بمصر في نفس التاريخ المذكور، لم تصبح إدارة مينائي سواكن ومصوع والدوائر المحيطة بهما داخلة ضمن دائرة امتياز الوراثة بناء على الاسترحام المقدم من إسماعيل باشا خديوي مصر[1]، وأصبحت تلك الأماكن مثل الأماكن التي تمنح بشكل مختلف، فأحيلت إلى عهدة إسماعيل باشا بشكل مؤقت لمدة ثلاث سنوات، يُدفع عن كل سنة ٧٥٠٠ كيس.

وعندما نقضت إيطاليا العهد واحتلت ميناء مصوع عام ١٣٠٧، لم يكن أمام الباب العالي من أجل الحفاظ والدفاع عن حقه في مصوع سوى الرجوع إلى أصول الاعتراض الضعيف الذي اتخذه مسلكا له منذ فترة.

---

(١) **الخديوي إسماعيل (١٢٤٥ - ١٣١٢هـ = ١٨٣٠ - ١٨٩٥م)**

إسماعيل (باشا) بن إبراهيم بن محمد علي الكبير: خديوي مصر. ولد في القاهرة، وتعلم بها ثم في فرنسا. وولي مصر سنة ١٢٧٩هـ. وهو أول من أطلق عليه لقب (الخديوية) من رجال أسرته. كان مولعا بالهندسة والرسم والتخطيط في طفولته، ولما ولي اتجه إلى تنظيم المدن وإنشائها. وفي أيامه أوصلت أسلاك البرق (التلغراف) وسكك الحديد إلى بلاد السودان، وأقيمت المنارات في البحر الأحمر وبنيت مدينة (الإسماعيلية)، وأنشئ المتحف المصري والمكتبة الخديوية(المصرية)، وتألفت شركات المياه والغاز في القاهرة والإسكندرية، وأقيم مرفأ الثانية، وتم حفر (ترعة السويس) وكان افتتاحها سنة ١٢٨٦هـ - ١٨٦٩م، ونكبت مصر بإنشاء المحاكم المختلطة (سنة ١٨٧٦م)، وكان مسرفا في الإنفاق على ملاذه، وعلى مشروعاته. ولي مصر وعليها من الدين ثلاثة ملايين جنيه. واعتزلها وعليها نحو مئة مليون جنيه. وأنشأ حكومة دستورية. ورضي بالمراقبة الأجنبية لخزائن مصر. وطلبت حكومتا إنكلترا وفرنسة من حكومة الآستانة عزله، فعزل سنة (١٢٩٦هـ-١٨٧٩م) وقضى بقية أيامه في أوربة وتركية إلى أن توفي في الآستانة. ونقلت جثته إلى القاهرة. الزركلي: الأعلام، ج ١، ص ٣٠٩

بلغت الإيرادات السنوية لإيالة الحبشة في عهد السلطان سليمان القانوني-أسكنه الله الجنة- أحد عشر حملاً من الأقجات[1]، أما وارداتها في سنة ١٢٨٠ رومية فكانت خمسة وعشرين ألف ليرة.

تقع مدينة مكة -شرفها الله تعالى إلى يوم القيامة- بين دائرة عرض ٢١ درجة و٢٨ دقيقة شمالا، وخط طول ٣٧ درجة و٥٤ دقيقة شرقا، وهى ترتفع عن سطح البحر بمقدار ٢٦٢ متراً.

تقع مدينة مكة المكرمة على مسافة ١٨ ساعة بسير الإبل شرق ميناء جدة.

---

(١) **آقجة:** وتعني لغة "الضارب أو الضاربة إلى البياض"، وأصلها مغولية معناها نقد أبيض، وهي قطعة صغيرة من الفضة، ضربت لأول مرة عام ٧٢٩هـ في عهد السلطان أورخان. وكانت تستخدم في الأوساط الشعبية للدلالة على الدراهم أو النقود بشكل عام. ووزنها خمسة قراريط وثلاث حبات أي ربع مثقال، وبحساب الجرامات اليوم تساوي أربعة جرامات و٦١٨ مليجراماً وعيارها ٩٠%، ثم بدأ الوزن والحجم يتناقصان تدريجياً، ويذكر أنه لم يضرب بعد سنة ١٢٣٤هـ شيء منها، وهي السنة الثانية عشر لجلوس السلطان محمود الثاني. ووجدت في وثيقة للحكومة العثمانية تاريخها أول أيلول ١٢٨٢ بالتأريخ الرومي (١٣ سبتمبر / أيلول ١٨٦٦م) أن كل ثلاث أقجات تساوي بارة واحدة، وكل ٤٠ بارة تساوي قرشاً واحداً، وكل مائة قرش تساوي ليرة عثمانية ذهباً. فتكون الأقجة هذه جزءاً واحداً من مائة وعشرين ألف جزء من هذه الليرة.

وكانت تلك النقود التي ضربها العثمانيون تحمل على وجهها الأول كلمة الشهادة ؛ في حين تحمل على الوجه الثاني اسم الأمير باللغة الدارجة (أورخان)، وهي عبارة يقصد بها الدعاء له "خلد الله ملكه" دون الإشارة إلى الأب، ولا زمان الضرب ومكانه، مما أدى إلى نشاط الحركة التجارية الخارجية.

سهيل صابان: المعجم الموسوعي، ص ٢٠-٢١

وتقع المدينة في واد طويل غير ذي زرع يأخذ شكل القوس بين سلسلة من الجبال والتلال، وموقعها منيع؛ حيث تحيط بها الأماكن الصخرية الوعرة صعبة المرور، ويبلغ طول المدينة من الشمال إلى الجنوب ٢ ميل، أما عرضها فيبلغ ١ ميل من جل أبي قبيس[١] شرقا وحتى سفح جبل قعيقعان[٢] غربا.

---

(١) **أبو قبيس:** هو الجبل المشرف على الكعبة المشرفة من مطلع الشمس، وكان يزحم السيل فيدفعه إلى المسجد الحرام، فنحت منه الكثير، وشق بينه وبين المسجد الحرام طريقاً للسيل وطريقاً للسيارات، وهو مكسو بالبنيان، وفي رأسه مسجد صغير يسمى مسجد بلال، وليس منسوباً إلى بلال الصحابي ﷺ، إنما هو على اسمه. وعلى أبي قبيس الطرفة القائلة: الواقف على أبي قبيس يرى الطائف ! فيتبادر للذهن أن المقصود مدينة الطائف، فيدهش السامع لهذا القول والمقصود الطائف بالكعبة.

انظر: عاتق بن غيث البلادي: معجم معالم الحجاز، ج ٧، ص ٨٩ .

(٢) **قُعَيْقَعان:** هو الجبل الضخم المشرف على المسجد الحرام من الشمال والشمال الغربي؛ ممتداً بين ثنيتي كَدَاء، وكُدَى، مشرفاً على وادي ذي طُوى غرباً. ولا يعرف اليوم اسم قُعَيقعان، ويسمى بأسماء كثيرة: طرفه الشمالي الغربي يسمى جبل العَبّادي، والشرقي المشرف على ثنية كَدَاء ومقبرة المعلاه يسمى جبل السليمانية، أما الجزء الأكبر منه في الجنوب، فيسمى جبل هندي، وشرقه المتصل بريع الفَلَق إلى جوفة غيلم، فيسمى جبل الفلق، ويسمى طرفه المشرف على حارة الباب (جبل المطابخ، وطرفه المشرف على ثنية كُدَىً (ريع الرسام) يسمى قرداً، وسمعت أيضاً أن طرفه الغربي مما يلي بئر طوى يسمى جبل السودان، لم أتمكن من تحقيق هذا القول، ومنه أيضاً جبل فلفلة، وجبل النقا، وجبل القراراة، وكلها أحياء من مكة. وقد ذكر قعيقعان في الأخشبين .

وقال ياقوت: بالضم، ثم الفتح، بلفظ تصغير، وهو اسم جبل بمكة، قيل: إنما سمي بذلك لأن قطوراء وجرهم لما تحاربوا قعقعت الأسلحة فيه. وعن السّدّيّ أنه قال: سمي =الجبل الذي بمكة قعيقعان لأن جرهم كانت تجعل فيه قسيّها وجعابها ودرقها، فكانت تقعقع فيه. قال عرّام: ومن قُعَيقعان إلى مكة اثنا عشر ميلاً عن طريق الحوف إلى اليمن.

وقعيقعان: قرية بها مياه وزروع ونخيل وفواكه، وهي اليمانية، والواقف على قعيقعان يشرف على الركن العراقي إلا أن الأبنية قد حالت بينهما قال البلخي. وقال عمر ابن أبي ربيعة:

قامت تراءى بالصِّفاح كأنَّها *** كانت تريد لنا بذاك ضرارا
سقيت بوجهك كل أرض جئتها *** ولمثل وجهك أسقي الأمطارا
من ذا نواصل إن صرمت حبالنا *** أو من نحدّث بعدك الأسرارا ؟
هيهات منك قعيقعان وأهلها *** بالحزنتين فشطَّ ذاك مزارا

هذه الأبيات رواها ياقوت، وهي متوالية، وفي بعضها اختلاف، وقد علقنا على رواية عرّام هذه في ما تقدم. وقال البكري: جبل بمكة، وذكر الكلبيّ وغيره من أصحاب الأخبار: أن جرهما وقطوراء لما احتربت بمكة قعقعت السلاح بذلك المكان.

انظر: الأزرقي: أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، ج ٢، ص ٢٩٥ - الحِميري: الروض المعطار، ص٤٧٧- ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٤، ص ٣٧٩- أبو عبيد البكري: معجم ما استعجم، ص ٢٩٨ - عاتق بن غيث البلادي: معجم معالم الحجاز، ج ٧، ص ١٤٦، ١٤٧ .

ولمكة ثلاثة مداخل طبيعية هي: المعلا[1]، الشيخ محمود[2]، بركة ماجد، ويحيط بأطرافها سور قديم، وبالرغم من وجود باب حديدي في جهة جعلان، إلا أنه أصبح خربًا بمرور الزمن عليه.

وتضم مكة أحياء كبيرة هي: البطحاء[3]،

---

(١) **المَعْلاة:** هو القسم العلوي من مكة المكرمة، ويطلق اليوم على حي وسوق بين الحجون، والمسجد الحرام، وغالبًا ما يطلق على مقبرة مكة التي صارت تعرف بالمعلاة لوقوعها في هذا الحي.

انظر: عاتق بن غيث البلادي: معجم معالم الحجاز، ج ٨، ص ٢٠١ .

(٢) **محمود/الشيخ محمود:** مكان في جرول بمكة قرب القبة، دفن فيه الشيخ محمود بن أدهم، "السباعي"، وكان القبر يزار وينذر له، ثم أحيط به وهو اليوم مهجور، ولكنه معروف مشهور، وكان محمود هذا صالحًا تقيًا، والمكان اليوم يقع في مفترق طرق مرور الحج.

انظر: عاتق بن غيث البلادي: معجم معالم الحجاز، ج ٨، ص ٤٧.

(٣) **بطحاء مكة:** أشهر ما سمعت من أقوال أهل مكة في تحديدها أنها الجزء من وادي إبراهيم بين الحجون إلى المسجد الحرام، وما فوق ذلك إلى المنحنى، يسمى الأبطح، وما =أسفل من ذلك يسمى المسفلة، وقد أدركناها بطحاء تنغرز فيها عجلات السيارات، ثم عبدت.

وقال البكري: بطحاء مكة هي: ما حاز السيل من الردم إلى الحناطين يمينًا مع البيت، وليس الصفا من البطحاء، وقريش البطاح –انظر البطاح– قال حذافة العدوي يمدح بني هاشم:

هُمُ ملأوا البطحاء مجدًا وسوددًا *** وهم تركوا رأى السفاهة والهجر

وروى أبو داود وغيره من حديث حماد عن حميد عن بكر بن عبد الله وأيوب جميعًا عن نافع أن ابن عمر كان يهجع هجعة بالبطحاء، ثم يدخل مكة، ويزعم أن رسول الله ﷺ كان يفعل ذلك.

قلت في رواية البكري هذه: يهجع بالبطحاء ثم يدخل مكة، تفريق بين البطحاء ومكة، ومن الثابت أن البطحاء كما حددناها تصل إلى المسجد الحرام. وقوله: يزعم. لا ينبغي أن يقال لابن عمر مثل هذا القول، وهو من يؤخذ عنه، فإذا صحّت الرواية فالحديث صحيح.

ويقول ياقوت بعد تعريف البطحاء: وبطحاء مكة وأبطحها ممدود، وكذلك بطحاء ذي الحُلَيفة، وقال ابن إسحاق: خرج النبي ﷺ غازيًا، فسلك نقب بني دينار من بني النجار على فيفاء الخبار فنزل تحت شجرة ببطحاء ابن أزهر يقال لها ذات الساق، فصلى تحتها، فثم مسجده.

انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ١، ص ٤٤٥- أبو عبيد البكري: معجم ما استعجم، ص ٧٦- عاتق بن غيث البلادي: معجم معالم الحجاز، ج ١، ص ٢٢٩ - ٢٣٠.

جارول، حارة الباب(١)، شبيكة(٢)، جياد(٣)،

(١) **حارة الباب:** حي بمكة غرب المسجد الحرام، يقع بين الشبيكة وريع الرَّسَّام، وهو من أحياء مكة الكبيرة، والحارة عند أهل الحجاز: الحي.

انظر: عاتق بن غيث البلادي: معجم معالم الحجاز، ج ٢، ص ٢٠١ - ٢٠٢ .

(٢) **الشُّبَيْكة:** تصغير الشبكة التي يصاد بها. حي كبير من أحياء مكة يمتد من المسجد الحرام غربًا إلى ريع الحفائر، وشمالاً إلى حارة الباب.

وهي من أعرق أحياء مكة، ولها مقبرة قديمة مهجورة بطرفها الغربي ملاصقة للجسر الكبير الذي أقيم سنة ١٣٩٩هـ، ثم رأيتها سنة ١٤٠٠هـ فإذا المقبرة قد أزيلت أو طُمرت، وبقي منها شقق لا تظهر فيه قبور يلعب فيه صبيان الحي.

انظر: عاتق بن غيث البلادي: معجم معالم الحجاز، ج ٤، ص ١٨.

(٣) **أجْياد:** بفتح أوله وسكون ثانيه، كأنه جمع جيد، وهو العنق، أجياد أيضًا جمع جواد من الخيل، يقال للذكر والأنثى، وجياد وأجاويد حكاه أبو نصر إسماعيل بن حمّاد، وقد قيل في اسم هذا الموضع جياد أيضًا، وقد ذكر في موضعه، وقال الأعشى ميمون بن قيس:

=فما أنت من أهل الحجون ولا الصفا *** ولا لك حق الشرب من ماء في زمزم

ولا جعل الرحمن بيتك في العلا *** بأجياد غربيّ الصفا والمحرّم

وقال عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة:

هيهات من أمة الوهاب منزلنا *** لما نزلنا بسيف البحر من عدن

وجاورت أهل أجياد، فليس لنا *** منها سوى الشوق أو حظ من الحزن

وذكره في شعر كثير، واختُلف في سبب التسمية بهذا الاسم، فقيل: سمي بذلك لأن تُبَّعًا لما قدم مكة ربط خيله فيه، فسمي بذلك، وهما أجيادان: أجياد الكبير وأجياد الصغير، وقال أبو القاسم الخوارزمي: أجياد موضع بمكة يلي الصفا.

وقال أبو سعيد السّيرافي في كتابه جزيرة العرب: هو موضع خروج دابّة الأرض. وقرأت فيما أملى أبو الحسين أحمد بن فارس، على بديع بن عبد الله الهمذاني بإسناد له: إن الخيل العِتاق كانت محرمة كسائر الوحش، لا يطمع في ركوبها طامع، ولا يخطر ارتباطها للناس على بال. ثم يورد قول بشر بن أبي حازم:

حلفت برب الداميات نحورها *** وما ضم أجياد المصلى ومذهب

لئن شبت الحرب العوان التي أرى *** وقد طال إبعاد بها وترهّب

لتحتملن بالليل منكم ظعينة *** إلى غير موثوق من العز تهرب

فقال أبو عبيدة: المصلى، المسجد، والمذهب: بيت الله الحرام.

قال الأصمعي: هو الموضع الذي كانت به الخيل التي سخرها الله لإسماعيل عليه السلام، وقال ابن إسحاق: لما وقعت الحرب بين الحارث بن مضاض الجرهمي، وبين السميدع بن حوثر، وخرج ابن مضاض من قُعَيْقعَان فقعقع السلام، فسمي قعيقعان، وخرج السميدع، ومعه الخيل والرجال من أجياد. فيقال إنه ما سمي أجياد أجياداً إلا بخروج الخيل الجياد منه مع السميدع.

قال السهيلي: وأما أجياد فلم يسم بأجياد الخيل كما ذكر ابن إسحاق، لأن جياد الخيل لا يقال فيها: أجياد، وإنما أجياد جمع جيد، وذكر أصحاب الأخبار أن مضاضًا ضرب في ذلك الموضع أجياد مائة رجل من العمالقة، فمسي ذلك بأجياد. لذلك قال: وكذا ذكر ابن إسحاق في غير كتاب.

قلت أنا: وقد قدمنا عن الجوهري أن العرب تجمع الجواد من الخيل على أجياد، ولاشك أن ذلك لم يبلغ السهيلي فأنكره، ومما يؤيد أن هذا الموضع سمي بالخيل، إنه يقال فيه: أجواد وأجياد، ثم اتفاق

مسفلة[١] ، مدعا، بياضية[٢] ، معابدة[٣] ، معلا ، شعب علي[٤] ، مولد

الرواة أنها سميت بجياد الخيل. وحدث ابن المنذر قال: كثرت إيّاد بتهامة وبنو معدّ بها حلول، ولم يتفرقوا عنها، فبغوا على بني نزار، وكانت منازلهم بأجياد من مكة، وذلك قول الأعشى:

عن ياقوت: وإيّاد فرع من معد.

=ويذكره البكري فيقول: من منازل قريش البطاح، ويورد شطر بيت لأبي صخر الهذلي: ودارها بين منعوق وأجياد.

انظر: الزمخشري: الجبال والأمكنة والمياه، ص ١٦ - الحِميري: الروض المعطار، ص ١٢ - ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ١، ص ١٠٤ - أبو عبيد البكري: معجم ما استعجم، ص ٣٥ - عاتق بن غيث البلادي: معجم معالم الحجاز، ج ١، ص ٥٣ – ٥٦ .

(١) **المَسْفلة:** من السفل: كان يطلق على كل ما انحدر عن المسجد الحرام؛ غير أنه اليوم علم على حيّ من مكة، يمتد من المسجد الحرام جنوباً غربياً إلى ما وراء بركة ماجل ينحدر فيها سيل وادي إبراهيم، ويعتبر بعضهم قَوْز المكاسة من المسفلة.

انظر: عاتق بن غيث البلادي: معجم معالم الحجاز، ج ٨، ص ١٥٤ .

(٢) **البياضية:** بفتح الموحدة، وتشديد الياء الأولى: صدر وادي الأبطح، يشملها اليوم اسم المعابدة، فيها القصر الملكي. وقال السباعي في تأريخ مكة: قصر بناه الشريف غالب في صدر الأبطح في المعابدة، وقد هدم.

انظر: عاتق بن غيث البلادي: معجم معالم الحجاز، ج ١، ص ٢٦٢ – ٢٦٣ .

(٣) **المعابدة:** حي من مكة، وهو ما يعرف بالأبطح، والبنيان اليوم في الأبطح، وجانبيه كل ذلك المعابدة، وهو يشمل أحياء كثيرة منها: الخانسة، والجعفرية، والجميزة .... إلخ. وقد خاض بعضهم في سبب تسمية المعابدة، وكانت في القرن الثامن الهجري ضاحية من ضواحي مكة أو أحد أطرافها.

انظر: عاتق بن غيث البلادي: معجم معالم الحجاز، ج ٨، ص ١٩٠ .

(٤) ويسمى أيضا (**شعب أبي يوسف**): قال ياقوت: وهو الشعب الذي أوى إليه رسول الله ﷺ وبنو هاشم لما تحالفت قريش على بني هاشم، وكتبوا الصحيفة، وكان لعبد المطلب فقَسَّم بين بنيه حين ضعف بصره، وكان النبي ﷺ أخذ حظ أبيه، وهو كان منزل بني هاشم ومساكنهم. فقال أبو طالب:

جزى الله عنا عبد شمس ونوفلا *** وتَيْماً ومَخْزوماً عقوقاً ومأثما

بتفريقهم من بعد ود وألفة *** جماعتنا كيفما ينالوا المحارما

كذبتم ورب البيت نُبزيْ محمداً *** ولما تروا يوماً لدى الشعب قائما

عاتق بن غيث البلادي: ثم عرف هذا الشعب فيما بعد بشعب أبي طالب، ثم شعب بني هاشم، ويعرف اليوم بشعب عليّ، وهو الشعب الذي يسيل بطرف أبي قُبيس من الشمال بينه وبين الخندمة، فيه مولد رسول الله ﷺ، وهو اليوم مكتبة مكة-أي المولد-، يصب سيله على سوق الليل فوق المسجد الحرام بحوالي ثلاثمائة متر، كانت عند مصبّه دار، فهدمت سنة ١٣٩٩هـ في توسعة شارع الغَزّة .

انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٣، ص٣٤٧- عاتق بن غيث البلادي: معجم معالم الحجاز، ج ٤، ص ٥٦ – ٥٧ .

النبي(١)، قوشاشية، شامية(٢)، مسعا، جبل هندي(٣)، جبل قبيس، جبل عمر(٤)، السليمانية(٥)، ....

---

(١) **مولد النبي ﷺ:** مكان معروف لدى أهل مكة على مصب شعب عليّ في سوق الليل، فوق الحرم بين أبي قبيس، والخنادم، كان عليه بيت حُوِّل إلى مكتبة للمطالعة تسمى مكتبة مكة.

انظر: عاتق بن غيث البلادي: معجم معالم الحجاز، ج ٨، ص ٢٩٦ .

(٢) **الشامية:** هي بمكة يشرف على المروة من الشمال على جبل الديلمي، والشامية أو حارة الشام، هي في جُدة يلي الباب الجديد من الشرق.

انظر: عاتق بن غيث البلادي: معجم معالم الحجاز، ج ٥، ص ١٢.

(٣) **هندي:** جبل: انظر قُعَيْقعان. وجبل الهندي: أحد قمم الهدأة، يقع بطرفها الجنوبي الشرقي جنوب الطريق، يشرف على وادي المحرم، أو قريب منه من الغرب.

انظر: عاتق بن غيث البلادي: معجم معالم الحجاز، ج ٩، ص ١٨٣، ١٨٤ .

(٤) **عُمَر:** قال الأزرقي: جبل عمر: الطويل، المشرف على رَبْع عمر، اسمه العافر، وقد قال الشاعر:

هيهات منها أن ألمَّ بها *** سلمى إذا نزلت بسفح العافر

وفي مكان آخر: قال الأزرقي: جبل عُمَر: الجبل المشرف على حق آل عمر، وحق آل مطيع بن الأسود، وآل كثير بن الصلت الكندي، وعُمَر الذي ينسب إليه عمر بن الخطاب ﷺ، وكان يسمى في الجاهلية ذا أعاصير، وانظر رسمي أبي دجانة فقد ذكرت هناك ذات أعاصير، وجبل عمر هذا شِقُّ من ثَبِير الزنج، وهو ما يلي حي الشبيكة، وريع الحفائر، وقد تقدم ثبير الزنج.

انظر: الأزرقي: أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، ج ٢، ص ٣١٠، ٣٢٧، ٣٣٤- عاتق بن غيث البلادي: معجم معالم الحجاز، ج ٤، ص ١٦٦ – ١٦٧ .

(٥) **السليمانية:** كالمنسوبة إلى سليمان: حي من أحياء مكة يمينك وأنت تهبط من ريع الحَجُون إلى الأبطح، بينك وبينها مقبرة المَعْلاة، يعتقد أنها منسوبة إلى الشيخ محمد بن سليمان المغربي الذي بنى المقبرة المذكورة، له دور في حوادث مكة في آخر القرن الحادي عشر الهجري، وليس صحيحاً قول بعض الناس: إنها منسوبة إلى طائفة السليمانية الهنود، وجبل المطل على هذا الحي من الغرب، ذكر في قُعَيْقِعان، وهو جزء منه.

انظر: عاتق بن غيث البلادي: معجم معالم الحجاز، ج ٤، ص ٢٣٢ .

سوق الليل، قراره[١]، شعب عامر[٢]، نقا[٣]، جبل ترك[٤].

وحدائق النخيل والخضروات الموجودة حول مكة تسر الناظرين، ومن العائلات القديمة في مكة المكرمة عائلة شرفا وعائلة شيبي.

ودائما ما يزيد سكانها عن مائتي ألف بما فيهم كافة الأهالي والمجاورين[٥].

---

(١) **القرارة:** حي من أحياء مكة في قرارة شمال الحرم في جبل قعيقعان، تفصل جبل شيبة شرقًا يصعد إليها من الفلْق، كانت تعرف بقرارة جبل شيبة. وقرارة المدحى: انظرها في البحر، ويعتقد أنها التي ذكر الأزرقي أن رحى الريح عولجت فيها.

انظر: عاتق بن غيث البلادي: معجم معالم الحجاز، ج ٧، ص ١٠٥ .

(٢) **شعب عامر:** شعب بمكة عليه حيّ من أشهر أحيائها يجاور شعب عليّ من الشمال، يصب من الخندمة في الغزَة. وقد ذكر في الخندمة، والصواب شعب ابن عاصر، وقيل: بل شعب بني عامر، ذلك أنه كان منازل بني عامر بن لؤي القريشيين.

انظر: عاتق بن غيث البلادي: معجم معالم الحجاز، ج ٤، ص ٦١ .

(٣) **النّقا:** بفتح النون والقاف والقصر، حي بمكة يقع على طرف الفلق الشمالي الشرقي.

انظر: عاتق بن غيث البلادي: معجم معالم الحجاز، ج ٩، ص ٧٨ .

(٤) **جبل الترك:** منسوب إلى الأتراك، جبل من نعوف قُعَيْقِعان الجنوبية بمكة، يشرف على حارة الباب من الشمال.

انظر: عاتق بن غيث البلادي: معجم معالم الحجاز، ج ٢، ص ٢٥.

(٥) المجاورون: يرجع أصل المجاورة إلى ما جاء في الأثر عن فضل مكة والمدينة والإقامة فيهما، وهي مستحبة عند العلماء، وقد جاء المجاورون من مختلف أنحاء العالم الإسلامي للإقامة في الحجاز، وكان أكثر المجاورين من أهل العلم والزهاد والمتصوفين، وربما يفسر هذا كثرة ما تم تخصيصه من اوقاف وما تم تأسيسه من أربطة وتكايا في العصر العثماني للمجاورين، وكانت هناك وظيفة تسمى شيخ المجاورين ولها مقابل مادي كبير وصل إلى تسعين ألف أقجة سنويا بالإضافة إلى خمسمائة أردب، وبالطبع كان يخصص له نصيب ويوزع الباقي على المجاورين .

انظر: محمد فهيم بيومي: مخصصات الحرمين في مصر إبان العصر العثماني، جامعة الأزهر، كلية اللغة العربية بالقاهرة، قسم التاريخ والحضارة، إشراف مصطفى محمد رمضان، ١٩٩٩م، ص ٣٥٦-٣٥٨ .

وتلك هي النواحي الملحقة بمكة المكرمة:

يشتمل سنجق مكة المكرمة الجهة الجنوبية والشرقية للولاية وهي عبـارة عن نواحي مكة نفسها ، الطائف ، تمنـار ، قرن(١) ، مــر

(١) **قرن:** هو صدر نخلة الشامية بين المحرم والسيل الكبير. وقال ياقوت: قال الأصمعي: جبل مطلّ بعرفات، وقال الغَوْري: هو ميقات أهل اليمن والطائف يقال له قَرْن المنازل. قال عمر بن أبي ربيعة: ألم تسأل الربّع أن ينطقا *** بقرن المنازل قد أخلقا ؟

وقال القاضي عياض: قرن المنازل هو قرن الثعالب، بسكون الراء: ميقات أهل نجد تلقاء مكة على يوم وليلة، وهو قرن أيضاً غير مضاف وأصله الجبل الصغير المستطيل المنقطع عن الجبل الكبير، ورواه بعضهم بفتح الراء، وهو غلط إنما قَرَن قبيلة من اليمن. وفي تعليق عن القابسي: من قال قَرْن، بالإسكان، أراد الجبل المشرف على الموضع، ومن قال قَرَن، بالفتح، أراد الطريق الذي يفترق منه فإنه موضع فيه طرق مختلفة مفترقة.

وقال الحسن بن محمد المهبلّي قرن قرية بينها وبين مكة أحد وخمسون ميلاً، وهي ميقات أهل اليمن، بينها وبين الطائف ذات اليمين ستة وثلاثون ميلاً. وقرن البوباة: وادٍ يجيء من السراة لسعد بن بكر، ولبعض قريش، وبه منبر، وفيه يقول الشاعر:

لا تقمرنّ على قرنٍ وليلته *** لا إن رضيت ولا إن كنت مغتصباً

وقرن مُعيّة: من مخاليف الطائف ذكره في الفتوح.

وقيل: قرن بين البوباة والمناقب وهو جبل.

ومقص قرن مطلّ على عرفات، عن الأصمعي، وأنشد:

وأصبح عهدها بمقصّ قرن *** فلا عين تحسّ ولا آثار

وقال البكري: قرن الثعالب: جمع ثعلب: موضع تلقاء مكة، قال نصيب:

أجارتنا في الحجّ أيام أنتُم *** ونحن نزولٌ عند قرْن الثعالب

وقرن المنازل: ذكر في شراء، وله شاهد في قرّان. قلت: قوله، مطل بعرفات، ذلك ما يعرف اليوم باسم القرين، وجبل الرحمة وجبل عرفات، وذكر قديماً باسم إلال، وليس هو قرن المنازل ميقات أهل اليمن. وقوله: هو قرن الثعالب وهم، وقرن الثعالب كان بمنى، أكيمة صغيرة ثم أزيلت. وقوله: قرن البوباة، هنا هو قرن المنازل، وهو كما تقدم وادٍ من نواشغ نخلة الشامية، وهو يمر بطرف البوباة من الشرق، وفي رأس البوباة قرن أحمر يسمى دِمَة، وهو ليس دمة الطائف. والقرون في الحجاز لا تكاد تحصى، وفي هذا الجزء غيض من فيض منها.

انظر: الأزرقي: أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، ج ١، ص ١٥٩- الزمخشري: الجبال والأمكنة والمياه، ص ٢٢- ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٤، ص ٣٣٢ - أبو عبيد البكري: معجم ما استعجم، ص ٢٩٤ - عاتق بن غيث البلادي: معجم معالم الحجاز، ج ٧، ص ١٢٠.

الظهران[1]، عكاظ[2] ، نجران ، منجرة ، جبرشن ، سرانه

(١) **مَرّ الظهران:** قال ياقوت: مَرّ: بالفتح، ثم التشديد، والمرّ والمَمَرّ، والمرير: الحبل الذي قد أحبك فتله، وأنشد ابن الأعرابي: ثم شددنا فوقه بمَرّ. ويجوز أن يكون منقولاً من الفعل مَرّ يمُرّ ثم صير اسماً. ومر الظهران وادٍ فحل من أكبر أودية الحجاز، يأخذ أعلى مساقط مياهه من السفوح الشرقية للسراة غرب الطائف، وله هناك رافدان هما نخلة الشامية التي تسيل من السفح الشرقي لجبل الحَبَلَة ثم يدفع ماؤها شرقاً فشمالاً، ويسمى ذلك الوادي في رحلته بأسماء مختلفة فصلتها هناك، ونخلة اليمانية التي تأخذ مياه هدأة الطائف ومياه جبلتي السعايد والثبة، ثم يجتمعان "النخلتان"، فيسمى الوادي وادي الزبارة، وفيه قرى عديدة منها: الزبارة والريان والمبارك والشاشية، وكلها مشروحة في موادها. وترفده أودية كبار منها: وادي مر يأتيه من الشمال، ووادي نبع: يأتيه من الجنوب، ووادي علاف من الشمال أيضاً. فإذا تعدى قرية أبي حصاني سمي وادي فاطمة، وفيه قرى عديدة منها الجموم: قصبة الوادي، ودف زيني، ودف خزاعة.

وبأسفله قرية حداء العامرة بين مكة وجدة، وبلدة رحبة التي صارت اليوم مدينة صغيرة. وتصب فيه أودية عظيمة منها: سرف، وباجج، وفخ، كلها من الضفة الجنوبية، سكانه اليوم خليط من الناس، ففي النخلتين أعلاهما (لثقيف وجلها لهذيل، ووادي الزبارة يشترك فيه هذيل والأشراف المناعمة وغيرهم، ووادي فاطمة كان يكاد يكون للأشراف مع أخلاطه قلة؛ غير أنه اليوم أصبح تشترك فيه أفناء من حرب وغيرهم.

ويسمى الوادي أيضاً "وادي الشريف"، وذلك أن الشريف أبا نُمَيّ الذي حكم مكة ستين سنة من ٩٣٢ – ٩٩٢هـ، كان قد امتلك جل هذا الوادي، فنسب إليه، أما نسبته إلى فاطمة فهي زوجة بركات ابن أبي نُمَيّ أو أمه لا أذكر الآن ذلك. ونسبة الوادي غليها كنسبة الشريف، وكان يقال إن في مر الظهران "٣٠٠" عين، وقد أدركت أنا "٣٦" عيناً. وقد انقطع معظم عيون وادي فاطمة وبقيت عيون وادي الزبارة والنخلتين، وسبب قطعها ضرب ارتوازات في أبي حصاني – أنظره – مُدّ ماؤها إلى جدة التي تكاد اليوم تتجرع مياه جميع الأودية المحيطة بها، بالإضافة إلى مياه البحر، ولا تكاد تكفي .

أما القرى ففي وادي مر الظهران اليوم ما يزيد عن أربعين قرية، وطوله يبلغ قرابة مائتين وثمانية كيلو بقياس أطوال روافده، وهي نخلة الشامية، ثم يصب في البحر جنوب جدة غير بعيد عنها. ومر الظهران يمر على مرحلة من مكة قصيرة شمالاً، و"٢٤" كيلو على جادة المدينة المنورة، وصار اليوم بعض أهل مكة يختط فيه ويسكنه.

انظر: الزمخشري: الجبال والأمكنة والمياه، ص ٢٥ - الحِميري: الروض المعطار، ص ٥٣١ - ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٤، ص ٦٣ - أبو عبيد البكري: معجم ما استعجم، ص ٣٢٩ -عاتق بن غيث البلادي: معجم معالم الحجاز، ج ٨، ص ٢٢ .

(٢) **عكاظ:** بضم أوله وآخره ظاء معجمة، قال الليث: سمي عُكَاظُ عكاظاً لأن العرب كانت تجتمع فيه، فيعكُظُ بعضهم بعضاً بالفخار؛ أي يدعَك، وعَكَظَ فلان خصمه باللّدد والحجج عَكْظاً. قال غيره: عكظ الرجل دابته يعكظها عكظا إذا حبسها، وتعكظ القوم تعكّظاً إذ تحبسوا ينظرون في أمورهم، وقال: وبه سميت عكاظ، وحكى السهيلي: كانوا يتفاخرون في سوق عُكاظ إذا اجتمعوا، ويقال: عكظ الرجل صاحبه إذا فاخره وغلبه بالمفاخرة، فسميت عكاظ بذلك، وعكاظ اسم سوق من أسواق العرب في الجاهلية، وكانت قبائل العرب تجتمع بعكاظ في كل سنة، ويتفاخرون فيها ويحضرها شعراؤهم ويتناشدون ما أحدثوا من الشعر، ثم يتفرقون، وأديم عكاظي نسب إليه، وهو مما يحمل إلى عكاظ فيباع فيها.

، نعم[1] ، عـك، حنكان

وقال الأصمعي: عُكاظ نخل في وادٍ بينه وبين الطائف ليلة، وبينه وبين مكة ثلاث ليالٍ، وبه كانت تقام سوق العرب بموضع منه يقال له الأثيداء، وبه كانت أيام الفجار، وكان هناك صخور يطوفون بها ويحجون إليها.

قال الواقدي: عكاظ بين نخلة والطائف، وذو المجاز خلف عرفة، ومجنة بمر الظهران. قال ياقوت: وهذه أسواق قريش والعرب، ولم يكن فيه أعظم من عكاظ، قالوا: كانت العرب تقيم بسوق عكاظ شهر شوال، ثم تنتقل إلى سوق مَجَنَّة فتقيم فيه عشرين يوماً من ذي القعدة، ثم تنتقل إلى سوق ذي المجاز، فتقيم فيه إلى أيام الحج.

انظر: الأزرقي: أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، ج ١، ص ١٦٠- الزمخشري: الجبال والأمكنة والمياه، ص ١٨- الحِميري: الروض المعطار، ص ٤١١- الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص ١٣٠- ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٤، ص ١٤٢- أبو عبيد البكري: معجم ما استعجم، ص ٢٦٤ - عاتق بن غيث البلادي: معجم معالم الحجاز، ج ٦، ص ١٤٧ – ١٤٨ .

(١) نُعَيْمٌ: تصغير " نعم " : هو الجبل المشرف على عمرة التنعيم من الجنوب الغربي، ويسمى المقابل له من الشمال الشرقي " ناعم " ولم يعد اليوم اسم ناعم أو نعيم معروفاً، ويسمى قسمه المشرف على الشُّهداء "جبل الشهيد" نسبة إلى أمير مكة الشريف حسين بن محمد بن عبد المعين بن عون، من العبادلة، الذي اغتيل في جدة سنة ١٢٩٧هـ في ربيع الثاني، وقصره لا زال معروفاً بسفحه الشرقي، ويسمى قسمه الأكبر الممتد بحذاء وادي الزاهر "جبال ملحات، أو جبال ملحة، وملحات شعاب تصب منها تسمى كل واحدة منها ملحة".

انظر: عاتق بن غيث البلادي: معجم معالم الحجاز، ج ٩، ص ٧٣، ٧٤ .

وبش[1]، وادي نخلة، ذات العرق[2]، جليل[3].

بالرغم من أن الدرجات الموضحة تاليا تظهر أن حرارة مكة مرتفعة، والجفاف غالب بها، إلا أن طقسها سليم للغاية.

---

(١) **وَابِشْ:** على وزن فاعل، والموحدة: وادٍ على طريق الشام بقرب الحِجْر يحاذي وادي القرى، قال جميل بثينة:

بينَ ذاتِ حنوةٍ وخُزَامى *** جاد فيها الربيع من سبله

بين علياء وابشٍ قبُلَـيَ *** فالغميـم الذي إلى جبلـه

وقال ياقوت: وابش: قال أبو الفتح: وابش وادٍ وجبل بين وادي القرى والشام، وذكره البكري فأحال على أبلي.

انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٥، ص ٣٤١- أبو عبيد البكري: معجم ما استعجم، ص ٣٦٧ - عاتق بن غيث البلادي: معجم معالم الحجاز، ج ٩، ص ١٠٥ .

(٢) **عِرْق:** قال ياقوت: وذات عِرْق: مَهَلّ أهل العراق وهو الحد بين نجد وتهامة، وقيل: عرق جبل بطريق مكة، ومنه ذات عرق، وقال الأصمعي: ما ارتفع من بطن الرمة فهو نجد إلى ثنايا ذات عرق، وعرق: هو الجبل المشرف على ذات عرق، وإياه عني ساعدة بن جؤية بقوله والله أعلم، يصف سحابًا:

ولما رأى عِرقًا ورجَع صَوْبه *** هَدَرًا كما هدر الفَنِيق المُعْصَبُ

وقال ابن عيينة: إني سألت أهل ذات عرق أمتهمون أنتم أم منجدون ؟ فقالوا: ما نحن بمتهمين ولا منجدين، قال ابن شبيب: ذات عرق من الغور والغور من ذات عرق إلى أوطاس، وأوطاس على نفس الطريق، ونجد من أوْطاس إلى القريتين، وقال قوم: أول تهامة من قبل نجد مدارج ذات عرق، وقال بعض أهل ذات عرق:

ونحن بسهب مشرف غير منجد *** ولا متهم فالعين بالدمع تذرف

وقال في المناسك من قصيدة وهب:

حتـى إذا مرّت بـذات عِـرْق *** مـرت بهـا وما بها من طرق

قال عاتق البلادي: وقوله: الغور من ذات عرق إلى أوطاس كلام لا ينظر إليه.

انظر: الزمخشري: الجبال والأمكنة والمياه، ص ١٨- الحِميري: الروض المعطار، ص ١٦٤- الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص ٦٦ - ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٤، ص ١٠٨- عاتق بن غيث البلادي: معجم معالم الحجاز، ج ٦، ص ٧٧ — ٧٨ .

(٣) **جليل:** وادٍ صغير يسيل من حراء غربًا، فيدفع في أعلى وادي فخّ، فيه حي للذيبة من عُتيبة، وهو الذي عناه بلال ﷺ بقوله:

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة *** بفخ وحَوْلي أذخر وجَليل

وذاك أن جليلاً يدفع في فخ، وأذخر يقابله من الجنوب، ومن فسر جليلاً هنا بأنه الدمن فقد أخطأ. انظر: عاتق بن غيث البلادي: معجم معالم الحجاز، ج ٢، ص ١٦٥ .

درجات الحرارة في مكة المكرمة بميزان الحرارة

بالسانتيغراد

الشهر	الدرجة الاعتيادية	درجة عالية
مارس	٢٨	
إبريل	٣٠	
مايو	٣٤	
يونيو	٣٦	
يوليو	٣٦,٥	
أغسطس	٣٧,٥	
سبتمبر	٣٥	٤٨,٥
أكتوبر	٣١	
نوفمبر	٣٠	
ديسمبر	٢٥	
يناير	٢٢,٥	
فبراير	٢٥	

ويوجد بمكة المكرمة غير الحرم الشريف دائرة القدسية الباهرة، ستة جوامع ذات مآذن، وسبعة وستين مسجداً، وقلعتان، ومقر للحكومة، ومحكمة شرعية، ودائرة للتلغراف والبريد، ومعسكران، ومستشفى للجند، ومستشفى للمغتربين، وثلاث تكايا[١]، واثنا عشر ضريحاً[٢] وأربعون سبيلا، وحمامان، وخمسة آلاف حانوت، ومائة ألف منزل[٣]، ومطبعة واحدة، ومائة وخمسون متجرا، وسوقان، ومائة نزل، وتسعة عشر رباطاً، وثمانون طاحونة حيوانية، وعمارتان عامرتان، وستة مدارس للعلوم، ومدرسة رشدية[٤] ومكتبتان،

(١) **الزوايا والتكايا:** أماكن تجمع للدراويش والمتصوفين، تسمى التكية الصغيرة زاوية، والكبيرة دركاه، والكبيرة جداً تسمى آستانة، والطريقة والتكية هي احتياجات لا يمكن الاستغناء عنهما فى الحياة الاجتماعية العثمانية، توجد تكية فى كل قصبة. توجد تكايا خاصة لطرق عديدة فى كل مدينة. هى بمثابة نوادى ذلك العهد، تجرى فيها أحداث =ومسامرات علمية، فنية، تصوفية، دينية، واحتفالات وفقاً لما تقضيه آداب وأعراف تلك الطريقة، وتعلم فيها صناعات وعلوم وآداب ولغات كثيرة جداً، ومن هذه الناحية، كانت الطرق والتكايا مؤسسات تربوية تعليمية لا مثيل لها بالنسبة لعصرها. شيوخ التكايا محترمون، وحتى البادشاه [السلطان] يظهر احترامه لشيوخ التكايا.

وقد اضطلعت الزوايا والتكايا هى الأخرى بدور لا يستهان به فى التربية والتعليم وفى الرفاه المتزايد والاستقرار الذى تحقق .. وقد تكون التكايا والمدارس ... موجودة فى مكان واحد، وتحت سقف واحد، وإدارة واحدة.

انظر، يلماز أوزتونا: تاريخ الدولة العثمانية، جـ ٢، ص٥٠٠ - ٥٠١؛ أكمل الدين إحسان أوغلى (إشراف): الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، نقله إلى العربية: صالح سعداوي، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ٢٠١٠م، جـ ٢، ص ٤٤٦

(٢) أمر الأمير الأسبق عون الرفيق باشا بهدم تلك الأضرحة وبنائها من جديد (المؤلف).

(٣) يتضح أن عدد المنازل أقل من المذكور بالنظر إلى عدد السكان (المؤلف).

(٤) **المدارس الرشدية:** لا يوجد اليوم مقابل بالمعنى التام لوضع مدارس الرشدية في نظام التعليم العثماني، ومع ذلك يمكننا اعتبارها مدارس من النوع المتوسط؛ إذ كانت تقوم في البداية بمهمة التعليم لما بعد مدارس الصبية، وتجهز الطلاب في الوقت نفسه للالتحاق بالمدارس العالية، أما بعد عام ١٨٦٩م، فكانت تأتي من حيث الدرجة فوق المدارس الأولية، وتحت المدارس " الإعدادية " التي هي في مستوى الثانوية.

أكمل الدين إحسان أوغلي: الدولة العثمانية تاريخ وحضارة ،ج ٢ص٥٣٥ .

ومزولة، وسبعون فرنا، ومائتا مقهى، وصيدلية، وثلاثٌ وأربعون مدرسة للصبيان، ومدرسة إعدادية[1]، وثلاثون مصنعاً للجص، وثمانية أماكن للعمال، ومكان للغاز، وحجر صحي، ومخزنان للإمارة، ومدبغتان.

ولوجود الكعبة المعظمة في مكة المكرمة، ولكونها مسقط رأس النبي -صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه-، ولأنها كانت مقر النبي قبل البعثة النبوية، ومقره لمدة ثلاثَ عشْرةَ سنةً بعد البعثة النبوية ؛ فإنها مشمولة بكل أنواع الشرف المادي والمعنوي، ولأنها كانت محل نزول القرآن العظيم الشأن فإنها بحق تمثل –الآن- قطب ومركز العالم الإسلامي، وأكثر المزارات قدسية للمسلمين.

ولأن الكعبة الشريفة كانت هي المعبد المعظم ومحل الحج لكافة طوائف العرب في الجاهلية، فقد كان العرب يقصدون مكة من كل حدب وصوب، فيؤدون ما عليهم من فريضة الحج، ويشتغلون بالتجارة، كما كانوا يدخلون في مسابقات الشعر والفصاحة.

---

(١) بالرغم من وجود المكاتب، إلا أنه لا توجد أي محاولة لتحصيل العلم بها .(المؤلف).

ومدينة مكة قديمة للغاية، ولا تعطي كتب التاريخ معلومات مفصلة ومحددة عن وقت بنائها، وعلى يد من بنيت، والمشهور أن (قصي بن كلاب)[1]، هو الذي جعل مكة بمثابة القصبة العامرة.

وقد وردت آيات كريمة، وأحاديث شريفة؛ عن فضل مكة على سائر البلدان.

وتعرف مكة بالكثير من الأسماء وذلك على حسب شهرتها وميزتها، وتلك الأسماء هي: مكة، بكة، كعبة، أم القرى، قرية، بلدة، البلد الأمين، بطحاء، صلاح، باسة، بساسة، ناسة، نساسة، هاضمة، رأس، كوثى، عرش، العريش، قاديس، قاديسية، سبوحة، حرام، البلد الحرام، المسجد الحرام، معطشه، بره، رتاج، أم رحم، أم الرحمة، أم كوثى، أمينة، أم الصفا، مروية، أم المشاعر، البلد المرزوقة، تهامة، الحجاز، مدينة الرب، عاقر، فاران، بلدة طيبة، عروب.

ولمكة -أيضاً- ألقاب جليلة هي: المشرفة، المفخمة، المهابة، الوالدة، النادرة، الجامعة، البيت العتيق، المباركة.

---

(١) **قصي بن كلاب** بن مرة بن كعب بن لؤي: سيد قريش في عصره، ورئيسهم. قيل: هو أول من كان له ملك من بني كنانة. وهو الأب الخامس في سلسلة النسب النبوي. مات أبوه وهو طفل فتزوجت أمه برجل من بني عذرة فانتقل بها إلى أطراف الشام، فشب في حجره، وسمي "قصيا" لبعده عن دار قومه. وأكثر المؤرخين على أن اسمه "زيد" أو "يزيد" ولما كبر عاد إلى الحجاز. وكان موصوفا بالدهاء. وولي البيت الحرام. فهدم الكعبة وجدد بنيانها (كما في تاريخ الكعبة)، وحاربته القبائل فجمع قومه من الشعاب والأودية وأسكنهم مكة، لتقوى بهم عصبيته، فلقبوه "مُجَمِّعًا" وكانت له الحجابة والسقاية والرِّفَادة والندوة واللواء. وكانت قريش تتيمن برأيه، فلا تبرم أمرا إلا في داره. وهو الذي أحدث وقود النار في "المزدلفة" ليراها من دفع من "عرفة" قال ابن هشام: غلب على مكة وجميع أمر قريش، وساعدته قضاعة. وقال ابن حبيب: كان الشرف والرياسة من قريش في الجاهلية في بني "قصي" لا ينازعونه ولا يفخر عليهم فاخر إلى أن تفرقت الرياسة في بني عبد مناف. وفي درر الفوائد: اتخذ لنفسه "دار الندوة" وجعل بابها إلى مسجد الكعبة، وفيها كانت تقضي قريش أمورها، وكان أمره في قومه كالدين المتبوع "لا يعمل بغيره، في حياته ومن بعده". مات بمكة ودفن بالحجون .

الزركلي: الأعلام، ج ٥، ص ١٩٩.

الكعبة المعظمة

يقع البيت المعظم الذي هو قبلة كل المسلمين في وسط مكة، وللكعبة مكانة مقدسة منذ بدء الخليقة، وروي أنها كانت محل هبوط آدم على الأرض.

فعندما وصل سيدنا إبراهيم عليه السلام إلى الحجاز مع زوجته هاجر وولده إسماعيل، بنى الكعبة المشرفة بمساعدة الملائكة الكرام؛ امتثالاً للأمر الإلهي الذي نزل عليه، وطاف بها مع ابنه إسماعيل، وبمرور الوقت نسى العباد الدين الحق الحنيف، وبدأوا في عبادة الأوثان، وجعلوا من الكعبة مكانا للأصنام، وبالرغم من أنهم كانوا يملئون أرضية الكعبة بالأصنام، إلا أنهم لم ينسوا مناسك الحج والطواف، فكانوا يفدون إلى مكة في موسم الحج من كل حدب وصوب في جزيرة العرب؛ لأداء فريضة الحج، وكان أمر الحفاظ على إدارة الكعبة منذ فترة طويلة في يد قبيلة قريش.

ولأن الناس لم تعر المعبد الذي بناه أبرهة الأشرم الحبشي أي أهمية، تحرك بكامل قواته لهدم الكعبة، وقد أهلكتهم الطيرُ الأبابيل عن آخرهم، كما ورد في سورة الفيل.

وقد تعرضت الكعبة للدمار من جراء سيل عظيم عندما كان النبي ﷺ في الخامسة والثلاثين من عمره، أي قبل بعثته عليه السلام، وتم بناؤها من جديد.

وفي عهد خلافة عبد الله بن الزبير[1] هدمت الكعبة وبنيت من جديد، وذلك لتستوعب في بنائها الجدار الشمالي المسمى (الحجر).

---

(١) **عبد الله بن الزبير** (١ - ٧٣هـ = ٦٢٢ - ٦٩٢م):

عبد الله بن الزبير بن العوام القرشي الأسدي، أبو بكر: فارس قريش في زمنه، وأول مولود في المدينة بعد الهجرة. شهد فتح إفريقية زمن عثمان، وبويع له بالخلافة سنة ٦٤هـ، عقيب موت يزيد بن معاوية، فحكم مصر والحجاز واليمن وخراسان والعراق وأكثر الشام، وجعل قاعدة ملكه المدينة. وكانت له مع الأمويين وقائع هائلة، ونشبت بينهما حروب انتهت بمقتل ابن الزبير في مكة، وكان من خطباء قريش المعدودين. مدة خلافته تسع سنين.

الزركلي: الأعلام، ٨٨/٤ .

وعندما حاصر الحجاج الظالم ابن يوسف[١] مكة المكرمة ضربها بالمنجنيق فتهدمت الكعبة المعظمة، وتم بناؤها للمرة الرابعة وترك في هذا البناء الأخير (الحجر) خارجها، وهذا هو البناء القائم إلى اليوم، وتتجلى الحكمة الربانية في كون الكعبة المعظمة في واد غير ذي زرع في خمسة أسباب هي:

الأول: استغناء مجاوري بيت الله الحرام عن عزة الدنيا وزينتها الفانية.

الثاني: لئلا يقيم أي شخص قط من الملوك الجبابرة في مطاف بيت الله المقدس.

---

(١) **الحجاج الثقفي (٤٠ - ٩٥ هـ = ٦٦٠ - ٧١٤ م)** :

الحجاج بن يوسف بن الحكم الثقفي، أبو محمد: قائد، داهية، سفاك، خطيب. ولد ونشأ في الطائف (بالحجاز)، وانتقل إلى الشام، فلحق بروح بن زنباع نائب عبد الملك بن مروان فكان في عديد شرطته، ثم ما زال يظهر حتى قلده عبد الملك أمر عسكره،

وأمره بقتال عبد الله بن الزبير، فزحف إلى الحجاز بجيش كبير وقتل عبد الله وفرق جموعه، فولاه عبد الملك مكة والمدينة والطائف، ثم أضاف إليها العراق والثورة قائمة فيه، فانصرف إلى بغداد في ثمانية أو تسعة رجال على النجائب، فقمع الثورة وثبتت له الإمارة عشرين سنة. وبنى مدينة واسط (بين الكوفة والبصرة). وكان سفاكا سفاحا باتفاق معظم المؤرخين. قال عبد الله بن شوذب: ما رؤي مثل الحجاج لمن أطاعه ولا مثله لمن عصاه. وقال أبو عمرو بن العلاء: ما رأيت أحداً أفصح من الحسن (البصري) والحجاج. وقال ياقوت (في معجم البلدان): ذُكر الحجاج عند عبد الوهاب الثقفي بسوء، فغضب وقال: إنما تذكرون المساوئ ! أو ما تعلمون أنه أول من ضرب درهما عليه (لا إله إلا الله محمد رسول الله)، وأول من بنى مدينة بعد الصحابة في الإسلام، وأول من أتخذ المحامل، وأن امرأة من المسلمين سبيت في الهند فنادت ياحجاجاه، فاتصل به ذلك فجعل يقول: لبيك لبيك! وأنفق سبعة آلاف درهم حتى أنقذ المرأة ؟ واتخذ (المناظر) بينه وبين قزوين فكان إذا دخن أهل قزوين دخنت المناظر إن كان نهارا وإن كان ليلا =أشعلوا نيرانا فتجرد الخيل إليهم، فكانت المناظر متصلة بين قزوين وواسط، وأصبحت قزوين ثغرا حينئذ. وأخبار الحجاج كثيرة. مات بواسط، وأجري على قبره الماء، فاندرس.

الزركلي: الأعلام، ج ٢، ص ١٦٩

الثالث: من أجل حماية الكعبة الخاصة بالزيارة والحج من عبادة الدنيا ولئلا تكون مقراً للتجارة.

الرابع: من أجل فهم الفقر، وكسب رأس المال المعنوي.

الخامس: من أجل إظهار تجريد الكعبة من علائق الدنيا.

وقيل: إنه أُطلق اسم الكعبة على بيت الله العتيق؛ لأنها مكعبة الشكل، وقيل لارتفاع بنائها.

وترتفع الكعبة عن أرضية المطاف بمقدار سبعة وعشرين ذراعاً وإصبعاً واحداً.

ويطلق على أركانها الأربعة: ركن الحجر الأسود، والركن اليماني، والركن الشامي، والركن العراقي.

والمسافة من الركن الأسود وحتى الركن اليماني ٣٢ ذراعاً، ومن الركن اليماني وحتى الركن الشامي ٣١ ذراعاً طولا، ومن الركن اليماني وحتى ركن الحجر الأسود ٢٠، ومن الركن العراقي وحتى الركن الشامي ٢٠ ذراعاً عرضا.

وبكل من الحائط الشرقي والغربي باب، أما الحائط الغربي مسدود، ويبلغ ارتفاع الأبواب المفتوحة ستة أذرع وأربعة أصابع، أما عرضها ثلاثة أذرع وثمانية عشر إصبعاً، مصراعا الباب من الخشب المسمى ساج، وهى مغطاة بلوحة مشغولة بالنجوم الفضية.

أما المسافة من أرضية المطاف وحتى أعتاب هذه الأبواب الشريفة فتبلغ أربعة أذرع، وثمانية أصابع.

وبالبيت الشريف مجموعة من المواقع والمآثر المقدسة، وهي:

الملتزم، المستجار، الحجر الأسود، داخل الكعبة، حجر إسماعيل، الميزاب الشريف، حفرة المعجن، النافورة، ستار الكعبة، المطاف الشريف، مقام إبراهيم، المقامات الأربعة، المنبر الشريف، قبة الفراشين، قبة السقايا.

(الملتزم)(١): يطلق على المكان الواقع بين الحجر الأسود والباب الشرقي. وسمي بهذا الاسم؛ لأن الحجاج ملتزمون بالدعاء هنا بعد الطواف. وكان النبي ﷺ يدعو في هذا المكان.

---

(١) **الملتزم:** أورد الأزرقي عن ابن عباس، قال: الملتزم والمُدّعي والمُتعوذ ما بين الحجر والباب–يقصد باب الكعبة– قال أبو الزبير: فدعوت هنالك بدعاء بحذاء الملتزم، فاستجيب لي، وعن مجاهد قال: رأيت ابن عباس وهو يستعيذ ما بين الركن والباب. وعنه أيضًا: ما بين الركن والباب يدْعى الملتزم، ولا يقوم عبد ثم يدعو الله -عز وجل- بشيء إلا استجاب له.

= قال عاتق البلادي: هو حفرة بين الحَجَر الأسود وباب الكعبة يهبط الناس فيها، ثم يلتزمون في ستائر ثوب الكعبة فيدعون، ومن المجرب الاستجابة هناك.

وقال ياقوت: المُلْتَزم بالضم، ثم السكون، وتاء فوقها نقطتان مفتوحة، ويقال له المدّعى والمُتعوّذ سمي بذلك لالتزامه الدعاء والتعوذ: وهو ما بين الحَجَر الأسود والباب.

قال الأزرقي: وذرعه أربعة أذرع، وفي الموطأ: ما بين الركن والباب الملتزم، كذا قال الباجي المهلبي، وهي رواية ابن وضاح، ورواه يحيى: ما بين الركن والمقام الملتزم، وهو وهم إنما هو الحطِيم ما بين الركن والمقام وزمزم والحجر.

انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٥، ص ١٩٠- الأزرقي: أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، ج ٢، ص ٢٥٤، ٣٠٧، ٣٣٦ -عاتق بن غيث البلادي: معجم معالم الحجاز، ج ٨، ص ٢٥١، ٢٥٢ .

(المستجار)[1]: اسم المكان الموجود به الباب الغربي المغلق ، وسمي بهذا الاسم؛ لأن الحجاج يستجيرون من الذنوب أي يستغفرون فيه.

(الحجر الأسود)[2]: يطلق على الحجر الأسود الموضوع ليكون بداية الطواف. ويرتفع الحجر الأسود الذي هو خال جمال كعبة الله عن الأرض

---

(١) **المستجار:** مكان من المسجد الحرام في ظل الكعبة الصباحي على يسار مستقبل الركن اليماني بينه وبين الباب المسدود، وهو من الأماكن التي يستجاب فيها الدعاء كالركن والملتزم والمقام.

انظر: عاتق بن غيث البلادي: معجم معالم الحجاز، ج ٨، ص ١٣٨.

(٢) **الحَجَر الأسود:** قال عبد الله بن عباس: ليس في الأرض شيء من الجنة إلا الركن الأسود والمقام، فإنهما جوهرتان ومن جوهر الجنة، ولولا من مسهما من أهل الشرك ما مسهما ذو عاهة إلا شفاه الله، وقال: عبد الله بن عمرو بن العاص: الركن والمقام ياقوتتان من يواقيت الجنة طمس الله نورهما، ولولا ذلك لأضاءا ما بين المشرق والمغرب.

وقال محمد بن علي: ثلاثة أحجار من الجنة: الحجر الأسود، والمقام، وحجر بني إسرائيل، وقال أبو عرارة: الحَجَر الأسود في الجدار، وذرع ما بين الحَجَر الأسود إلى الأرض ذراعان وثلثا ذراع، وهو في الركن الشمالي .

وقد ذكرت أركان الكعبة في مواضعها، وقال عياض: الحجر الأسود يقال: هو الذي أراده النبي ﷺ حين قال: إني لأعرف حجراً كان يُسلم عليَّ، إنه ياقوتة بيضاء أشد بياضاً من اللبن فسوده الله تعالى بخطايا بني آدم، ولمس المشركين إياه، ولم يزل هذا الحجر =في الجاهلية والإسلام محترماً معظماً مكرّماً يتبركون به ويقبلونه، إلى أن دخل القرامطة لعنهم الله في سنة ٣١٧هـ إلى مكة عنوة فنهبوها، وقتلوا الحُجّاج وسلبوا البيت، وقلعوا الحجر الأسود، وحملوه معهم إلى بلادهم بالأحساء من أرض البحرين، وبذل لهم بَجْكم التركي الذي استولى على بغداد في أيام الراضي بالله ألوف الدنانير على أن يردوه، فلم يفعلوا؛ حتى توسط الشريف أبو علي عمر بن يحيى العلوي بين الخليفة المطيع لله في سنة ٣٣٩هـ، وبينهم حتى أجابوا إلى ردّه، وجاءوا به إلى الكوفة وعلقوه على الأسطوانة السابعة من أساطين الجامع، ثم حملوه وردّوه إلى موضعه، واحتجوا، وقالوا: أخذناه بأمر ورددناه بأمر، فكانت مدة غيبته اثنتين وعشرين سنة، وقرأت في بعض الكتب أن رجلاً من القرامطة قال لرجل من أهل العلم بالكوفة، وقد رآه يتمسح به وهو معلق على الاسطوانة السابعة كما ذكرناه: ما يؤمنكم أن نكون غيّبنا ذلك الحجر، وجئنا بغيره ؟ فقال له: إن لنا فيه علامة، وهو أننا إذا طرحناه في لماء لا يرسب، ثم جاء بالماء فألقوه فيه فطفا على وجه الماء. أ.هـ.

هذه هي رواية ياقوت، وقوله في الركن الشمالي قول منكر؛ ذلك أن الحجر الأسود في الركن الشرقي؛ مقابل زمزم من غيب الشمس. وسمعت بالبادية من يقول (الحجر الأسعد)؛ تحاشيا لذكر السواد.

انظر: ابن الضياء: تاريخ مكة، ص ٥٧- ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٢، ص ٢٢٣- الحِميري: الروض المعطار، ص ٩٣- عاتق بن غيث البلادي: معجم معالم الحجاز، ج ٢، ص ٢٣٣ – ٢٣٥.

بمقدار ثلاثة أذرع، وأربعة أصابع، وهو موضوع في إطار دائري من الفضة.

(داخل كعبة الله): وهي الأرضية الموجودة داخل كعبة الله المشحونة بالقدسية، وهي مغطاة بستار لا مثيل له ذي لون صاف.

(حِجْرً إسماعيل)(١): وله اسم آخر وهو الحطيم الكريم، ويحاط حجر إسماعيل بحائط نصف دائري في الناحية الشمالية للكعبة،

---

(١) **الحِجْر**: حجر الكعبة، وهو ما تركت قريش في بنائها من أساس إبراهيم عليه السلام، وحجرت على الموضع ليعلم أنه من الكعبة، فسمّي حِجراً لذلك، ولكن فيه زيادة على ما فيه البيت حُدّد، وفي الحديث: من نحو سبعة أذرع، وقد كان ابن الزبير أدخله في الكعبة حين بناها، =فلما هدم الحجاج بناءه صرفه عما كان عليه في الجاهلية، وفي الحجر قبر هاجر أم إسماعيل عليه السلام.

والحِجْر أيضاً، قال عرّام بن الأصبغ وهو يذكر نواحي المدينة، فذكر الرحضية، ثم قال: وحذاءها قرية يقال لها الحِجْر، وبها عيون وآبار لبني سُليم خاصة، وحذاءها جبل ليس بالشامخ يقال له قنّة الحجر.

قال المؤلف: أما الحجر الأول فلا يكاد يعرف اليوم إلا بمدائن صالح فانظرها، وتسمى أرضه كلها الجُوبة، وهو رأس وادي القُرى، أما حجر الكعبة فيسمى اليوم حجر إسماعيل عليه السلام. أما الحجر الذي رواه عرام فهو بفتح الحاء وليس بكسرها.

وقال البكري: الحجر: هو بلد ثمود بين الشام والحجاز. ولما نزل رسول الله ﷺ بالحِجْر في غزوة تبوك، استقى الناس من بئرها، فلما راحوا قال: لا تشربوا من مائها شيئاً، ولا تتوضؤا منه للصلاة، ولا يخرجنّ منكم الليلة أحد إلا ومعه صاحبه، ففعل الناس ما أمرهم به، إلا رجلين من بني ساعدة خرج أحدهما لحاجته، فخُنق على مذهبه، فدعا له رسول الله ﷺ، فشفي، وخرج الآخر في طلب بعير له، فاحتملته الريح ؛ حتى طرحته بجبلي طيء، فأهدته طيء لرسول الله ﷺ حين قدم المدينة. والحِجر على لفظه: حطيم الكعبة، وهو المدار بالبيت، كأنه حجره مما يلي المثعب.

قال عاتق البلادي: قدمنا حجر إسماعيل وهو لا يطيف بالبيت؛ بل هو امتداده شمالاً يصب عليه الميزاب، وأهل مكة يعرفون أنه من الكعبة، فلا يصلون فيه الفريضة مع الإمام، وإذا قامت الصلاة تأخر من بالحجر إلى خارج، أما المثعب فلا أعرفه، ولعله يقصد الميزاب.

انظر: أبو عبيد البكري: معجم ما استعجم، ص١٢٢- ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٢، ص ٢٢٠- ابن الضياء (أبو البقاء محمد بهاء الدين بن الضياء المكي): تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام، كتاب إلكتروني على موقع http: //www.alwarraq.com، ص ٧٦ - عاتق بن غيث البلادي: معجم معالم الحجاز، ج ٢، ص: ٢٣٠، ٢٣١ .

وفرش من الداخل بالمرمر اللافت للنظر، والمسافة التي تبلغ ستة أو سبعة أذرع من حائط الحطيم الشريف وحتى جدار الكعبة تعد من الكعبة نفسها، والباقي كان مربضًا خاصًا بأغنام سيدنا إسماعيل -عليه السلام-.

وحد الحطيم[١] يمتد من الركن العراقي وحتى الركن الشامي ويبلغ عشرين ذراعًا، وله بابان، ويبلغ ارتفاع الجدار ثلاثة أذرع، أما طول القوس فيبلغ ثمانية وثلاثين ذراعًا.

(ميزاب الكعبة): ميزاب الكعبة ملاذ الرحمة هو ضلع الكعبة الواقع بين الركن العراقي والركن الشامي، وهو ملاصق لسقف الكعبة، ويقال عليه في التركية (آلتون أولوق) أي الميزاب الذهبي.

---

(١) **الحطيم:** قال ياقوت: بالفتح، ثم السكون. بمكة، قال مالك بن أنس: هو ما بين المقام إلى الباب، وقال ابن جُرَيج: هو ما بين الركن إلى المقام، وزمزم والحِجر، وقال ابن حبيب: هو ما بين الركن الأسود إلى الباب إلى المقام؛ حيث يتحطم الناس للدعاء، وقال ابن دُريد: كانت الجاهلية تتحالف هناك يتحطمون بالأيمان، فكل من دعا على ظالم، وحلف إثمًا عُجِّلت عقوبته، وقال ابن عباس: الحطيم الجَدْر بمعنى جدار الكعبة، وقال أبو منصور: حِجْر مكة يقال له الحطيم؛ مما يلي الميزاب، وقال النضر: الحطيم الذي فيه الميزاب، وإنما سمي حطيمًا لأن البيت رُبِّع وترك محطومًا.

وقال الحميري في الروض المعطار: وهو ما بين الكعبة وما بين زمزم والمقام. قال الإخباريون: كان من لم يجد من الأعراب ثوباً من ثياب أهل مكة يطوف به رمى ثيابه هناك وطاف عرياناً، فسمي الحطيم.

قال عاتق البلادي: ومعروف اليوم عند أهل مكة أن الحطيم بين الركن وزمزم والمقام، فهناك يبدأ الطواف وينتهي، فيه تُصلّي ركعتا الطواف، وفيه الملتزم، وعليه يفتح باب الكعبة.

انظر: الحِميري: الروض المعطار، ص ١٩٥- ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٢، ص ٢٧٣- ابن الضياء: تاريخ مكة، ص ٥٥، ٨٧- عاتق بن غيث البلادي: معجم معالم الحجاز، ج ٣، ص ٢٨ .

(حفرة المعجن): ويطلق عليها-أيضاً- مقام جبريل، وهو عبارة عن مكان منخفض يقع بين الركن العراقي وباب المعلا، وقد عجن سيدنا إبراهيم الطين اللازم لبناء الكعبة في هذا المكان، كما أنه أول مكان صلى فيه النبي ﷺ عندما فرضت الصلاة.

(النافورة): وتطلق على البروز المتصل بأرضية جدران الكعبة، وتربط ستائر الكعبة في الحلقات الموجودة على تلك البروز.

(الستار الشريف): اسم يطلق على أستار الكعبة الشريفة، وهى ستائر منسوجة من الحرير الأسود، وقد نقشت عليه دائرا ما دار نقوش خطية بالخط الجلي بالحرير الأسود، والكتابات الموجودة على أستار الكعبة هي: الله جل جلاله، لا إله إلا الله محمد رسول الله.

وبوسط الستار إطار يُطلق عليه كمر، يحيط بالكعبة المشرفة، وقد نقش عليه؛ بداية من الركن العراقي وحتى الحجر الأسود بالخط الجلي المطرز النص القرآني التالي: (وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْناً وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ * وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَـَذَا بَلَداً آمِناً وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ * وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ)[1].

---

(١) سورة البقرة، الآيات من ١٢٥ إلى ١٢٨ .

ومن الحجر الأسعد وحتى الركن اليماني الآيات الجليلة التالية: (قُلْ صَدَقَ اللّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكاً وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ * فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِناً وَلِلّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ * قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللّهِ وَاللّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ)(1).

ومن الركن اليماني وحتى الركن الشامي الآيات البينات: (وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئاً وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ * وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ * لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُم مِّنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ * ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ) (2).

---

(١) سورة آل عمران، الآيات من ٩٥ إلى ٩٨ .

(٢) سورة الحج، الآيات من ٢٦ إلى ٢٩ .

ومن الركن الشامي حتى الركن العراقي أسماء سلاطين آل عثمان وسلطان هذا العصر. وتجدد هذه الستارة كل عام في مصر باسم الخلافة.

(المطاف الشريف): هو دائرة المطاف الشريف، يأخذ شكل الدائرة التي تحيط بالجوانب الأربعة للكعبة.

(مقام إبراهيم)[1]: هو الحجر الذي استخدمه سيدنا إبراهيم

بمثابة السقالة في بناء الكعبة، ويقع في الجهة الشرقية للكعبة، ويوجد مقام إبراهيم في صندوق حديدي بطول قامة الرجل، وقد تم تغطية الصندوق باللوحات الفضية، والستائر البراقة للغاية، ويعلو المقام قبة خشبية، وأضيف إليها سقف يتصل بالجهة الشرقية لها، ويُفضل أن يصلي الحجاج الكرام ركعتي الطواف بعد الطواف تحت هذا السقف، يبلغ عرض هذا السقف خمسة أذرع، وثمانية أصابع.

---

(١) **مقام إبراهيم:** في الأصل هو ذلك الحجر الذي كان يقف عليه إبراهيم عليه السلام أثناء بناء الكعبة، قال تعالى: {وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى} ثم بنى عليه مصلى صغير يصلي الناس فيه ركعتي ما بعد الطواف، وفي التوسعة السعودية الكبيرة نقل المصلى إلى الشرق من مكانه ذلك حذاء زمزم من الشمال، وهدم الأول. ووضع على الحجر زجاج بلوري ترى من ورائه آثار قدم إبراهيم عليه السلام، الماثلة في الحجر، وله روايات مستفيضة في تاريخ مكة.

انظر: عاتق بن غيث البلادي: معجم معالم الحجاز، ج ٨، ص ٢٢٢ .

(المنبر)[1]: يقع شمال مقام إبراهيم، وهو خاص لقراءة الخطبة فقط.

(المقامات الأربعة): هي أربعة مقامات خاصة بالأئمة الأربعة، تقع في الجهات الأربع للكعبة، ويصلي إمام كل مذهب الأوقات الخمسة مع جماعته في مقامه.

(المقام الحنفي)[2]: يقع في الجهة الشمالية للكعبة، أمام الميزاب.

(المقام الشافعي)[3]: يقع في الجهة الشرقية خلف مقام إبراهيم.

---

(١) **منبر مسجد الحرام:** روى الأزرقي في أخبار مكة أن أول من خطب في المسجد الحرام على منبر هو معاوية بن أبي سفيان، قدم به من الشام سنة حج في خلافته، وكان منبراً صغيراً على ثلاث درجات، وكان الخلفاء والولاة قبل ذلك يخطبون يوم الجمعة على أرجلهم قياماً في وجه الكعبة وفي الحِجر ؛ حتى عهد هارون الرشيد، فحج وأهدى له عامله على مصر موسى بن عيسى منبراً عظيماً في تسع درجات منقوش، فكان منبر مكة، ثم أخذ منبر مكة القديم، فجعل بعرفة؛ حتى أراد الواثق بالله الحج فكتب، فعمل له ثلاثة منابر: منبر بمكة، ومنبر بمنى، ومنبر بعرفة، فمنبر هارون الرشيد، ومنابر الواثق كلها بمكة إلى اليوم.

انظر: عاتق بن غيث البلادي: معجم معالم الحجاز، ج ٨، ص ٢٧٨ - ٢٧٩ .

(٢) **المقام الحنفي:** يقولون: مقام أبي حنيفة، بناء من طبقتين كان حذاء حجر إسماعيل شمالاً بينهما صحن المطاف، ثم هدم في التوسعة السعودية.

انظر: عاتق بن غيث البلادي: معجم معالم الحجاز، ج ٨، ص ٢٢٢ .

(٣) **المقام الشافعي:** بناء كان فوق بئر زمزم، يؤذن فيه رئيس مؤذني الحرم، ثم يردد بعده بقية المؤذنين بالترجيع، وفي التوسعة السعودية الجديدة هدمت المقامات، ثم ألغي الترجيع، فصار الأذان منفرداً، وبنيت مكبرية للأذان والإقامة في آخر الحصوة التي تقابل الحجر الأسود من الجنوب، فجعل الأذان والإقامة منها، وفي ظلة المقام مزولة يعلم بها التوقيت، وفي عام ١٠٧٩هـ وضع محمد بن سليمان المغربي مزولة تجاه باب السلام. والتوقيت في المسجد الحرام وظيفة بيد آل الزبير المعروفين اليوم بـ " بيت الريس "، ولقب الريس نسبة إلى رئاسة التوقيت.

انظر: عاتق بن غيث البلادي: معجم معالم الحجاز، ج ٨، ص ٢٢٣ .

(المقام الحنبلي)[١]: يقع في الجهة الجنوبية.

(المقام المالكي)[٢]: يقع في الجهة الغربية.

(قبة زمزم): تقع في الجهة الجنوبية الشرقية للكعبة، على مسافة تسعةٍ وثلاثين ذراعًا من الحجر الأسود.

ويقع باب زمزم تحت هذه القبة، وفتحته ذراعان وهي محدودة بسور.

ويبلغ عمق البئر المذكورة ٦٧ ذراعًا، وفي عام ٢٤٤هـ قلت المياه في بئر زمزم، فأمر الخليفة المأمون بحفر تسعة أذرع فزادت المياه في البئر.

(١) **المقام الحنبلي:** بناء يشبه مقام مالك كان غرب الكعبة بينهما، ضمن المطاف، ثم هدم في التوسعة السعودية.

انظر: عاتق بن غيث البلادي: معجم معالم الحجاز، ج ٨، ص ٢٢٢ .

(٢) **المقام المالكي:** بناءه كان يقوم على أعمدة وسقف جنوب الكعبة مما يلي باب الملك الآن، بينه وبين الكعبة صحن المطاف، ثم هدم في التوسعة السعودية، والجدير ذكره أن هذه المقامات كان يرتاد كل مقام منها أصحاب مذهب الإمام المنسوب إليه هذا المقام.

انظر: عاتق بن غيث البلادي: معجم معالم الحجاز، ج ٨، ص ٢٢٣ .

(قبة الفراشين)[1]: تقع في مكان يتصل ببئر زمزم، ولها اسم آخر وهو (قبة الخزانة). وتحفظ في هذه الخزانة الأشياء المهداة من أهل الإسلام كالمسبحات، والشمعدانات، وأجزاء القرآن الكريم.

(قبة السقايا): وهي بناء يتصل بقبة الخزانة-أيضاً-، ولها اسم آخر وهو (سقاية الحج). وقد استخدم هذا المكان كمكتبة لفترة، ومؤخرا تم نقل الكتب إلى المكتبة الموجودة بناحية باب السلام، وأزيلت هذه القبة.

ويُحيط بدائرة المسجد الحرام أي الجهات الأربع للكعبة بالشكل والهيئة المحررين أربعة حوائط شبه مستطيلة، وقباب بنيت على ثلاثة صفوف، والمسافة من باب السلام الموجود بالجهة الشرقية وحتى باب العمرية الواقع بالجهة الغربية ٣٠٠ ذراع طولا، ومن باب الصفا الواقع بالجهة الجنوبية وحتى باب الزيارة الواقع بالجهة الشمالية ٣٦٠ ذراعاً عرضاً.

وتشمل دائرة الحرم تسعة عشر بابا، وسبع مآذن، وخمسمائة قبة، ويؤذن المؤذنون داخل المسجد الحرام من فوق بئر زمزم والمقام الحنفي.

---

(١) **الفراشون وشنط الفراشة:** عند احتفالات الصرة الهمايونية. لا يقتصر موكب الصرة على السلطان وكبار رجال الدولة فحسب، بل يمكن لكل من رغب من المؤمنين أن يشارك فيه. لذا فإن الأهالي يرسلون شنط تسمى شنط الفراشة مطرز على أحد أوجهها اسم المرسل وعلى الوجه الآخر اسم المرسل إليه وعنوانه، وتُسلم تلك الشنط بمعرفة نظارة الأوقاف. ويضع صاحب تلك الشنطة كمية من الأموال على حسب قدرته. وفي العودة تُرسل تلك الشنطة إلى صاحبها مملوءة بالهدايا الصغيرة كماء زمزم والحنة والسواك والخواتم والعقيق وغيرها من هدايا الحجاز. ويطلق على مرسلي تلك الهدايا "وكلاء الفراشة" وهم مجموعة من الفقراء الذين يخدمون في الكعبة، ويدعون للمؤمنين الذين لم يتمكنوا من الذهاب إلى الحج لأسباب ما وظلوا في استانبول. ويتعيش هؤلاء الفقراء من الأموال التي يرسلها هذا وذاك كل عام.

Surre Alayı " Hayat Tarih Mecmuasi, c. ID., sayi: ٢٩, s. ١٤٨; Aynca bkz.: s. ٢٠٩.

بناة الكعبة ومجددوها:

سيدنا آدم أبو البشر، شيث عليه السلام، سيدنا إبراهيم عليه السلام ، العمالقة، الجراهمة، قصي بن كلاب، قبيلة قريش، عبد الله بن الزبير، الحجاج بن يوسف الثقفي، السلطان مراد خان الرابع.

أيام فتح الكعبة

١) تفتح في الثالث من شهر المحرم لزيارة الرجال، وفي الحادي عشر من نفس الشهر للنساء.

٢) تفتح ليلة الثاني عشر من شهر ربيع الأول حُرْمةً لمولد النبي، ويدعو الإمام لأمير المؤمنين بطول العمر والشوكة، و لا يُدخل إلى الكعبة في هذه المرة.

وفي صباح الليلة المذكورة تفتح الكعبة للرجال، وتفتح ليلة الثالث عشر من نفس الشهر للنساء.

٣) تفتح في اليوم العشرين من ربيع الأول، حيث يدخلها أمير مكة المكرمة، ووالي الولاية، وبقية الموظفين، ويغسلون أرضيتها بماء زمزم وماء الورد، ويعطرون حيطانها بزيت الورد، وأنواع العطور النفيسة، ويشعلون أعواد البخور والعنبر ويبخرونها بالروائح الطيبة.

٤) صباح يوم الجمعة الأولى من رجب للرجال، وصباح اليوم التالي للنساء.

٥) بالرغم من أن باب الكعبة يفتح في ليلة السابع والعشرين من رجب، إلا أنه لا يُدخل إليها، ويُكتفى بتكرار الأدعية الخيرية لخليفة الزمان أمامها.

ولكن في صباح اليوم التالي تفتح الكعبة لزيارة الرجال، وفي صباح اليوم التالي لهذا تفتح للنساء.

٦) ليلة الخامس عشر من شهر شعبان الشريف، حيث تفتح من أجل قراءة الأدعية الخيرية، ويكون النهار للرجال، ثم تفتح في اليوم التالي للنساء.

٧) تفتح يوم الجمعة الأولى من شهر رمضان للرجال، والنساء في اليوم التالي.

٨) تفتح ليلة السابع عشر من نفس الشهر لأداء دعاء أمير المؤمنين فقط.

٩) تفتح يوم الخامس عشر من شهر ذي القعدة للرجال، ويوم السادس عشر للنساء.

وفي أواخر شهر ذي القعدة تُغسل بالشكل الموضح فيما سبق. وفي الثامن والعشرين من شهر ذي القعدة تُكسى الكعبة بالقماش الأبيض، وتفتح الكعبة في هذا اليوم بشكل خاص لأكابر المسلمين.

ولأن باب الكعبة ملاذ السعادة مرتفع عن الأرض، يتم فتحه بواسطة سُلّم مزين بطريقة غاية في الجمال مصنوع من خشب الساج.

وأول من كسا الكعبة وأهداها الكسوة (كرب بن أسعد) من الملوك الحميرية التي حكمت اليمن، وكان تجديد كسوة الكعبة ولون كسوتها يتم بشكل مختلف لفترة ما، حتى إن الخليفة المأمون أمر بتغيير كسوة الكعبة ثلاث مرات في السنة، وقد كان السلف الأوائل يغيرون كسوة الكعبة يوم عرفة فيجعلون الكسوة من الديباج الأحمر، ويوم عيد الفطر بالديباج الأبيض،

ولكن نظراً لأن الخلاف لم يرع تلك الأصول، فقد أصبحت الكسوة تغير مرةً واحدةً في السنة، وقد قام الملك الصالح إسماعيل بن الناصر محمد بن قلاوون من ملوك الأتراك في مصر بشراء ثلاث قرى؛ هي: سنديون، وأبو الغيث، وبيبوس بجهة قليوب، وأوقفها لمصاريف كسوة الكعبة، وذلك عام ٧٥٠ هـ.

وعلى هذا كانت كسوة الكعبة تجدد مرة واحدة في السنة على أن تكون باللون الأسود.

وعندما فتح السلطان سليم-جعل الله الفردوس مثواه- مصر أبقى الوقفية كما هي على أن تكون الأستار سوداء وترسل مرة واحدة في العام، وبمرور الوقت أشرفت القرى المذكورة على الخراب، وأصبحت وارداتها لا تفي بما هي موقوفة له، فقام السلطان القانوني -جعل الله مثواه الجنة- بشراء سبع قرى في مصر، وضمها للقرى القديمة، وأصدر إرادة بأن تُستوفى كل النفقات التي تحتاجها الكسوة من خزينة مصر.

وهذه القرى التي اشتراها السلطان القانوني[١] هي: سلكه، سير وجنجه، قريش الحجر، المنايل، وكوم ريحان، بجام، منية النصارى، بطالية، وقد بلغت واردات القرى المذكورة في عام ٩٤٧هـ ٣٤٥١٥٢ درهماً شرعياً.

وعلى هذا أصبحت كسوة الكعبة باسم الخلافة، وترسل كل عام مع المحمل المصري، وكانت تتكلف مصاريف صنعها ٤٥٠٠ عملة مصرية تقريباً.

---

(١) السلطان سليمان الأول/القانوني (٩٢٦ – ٩٧٤ هـ/١٥٢٠– ١٥٦٦م)

وفوق نصف الستارة الشريفة يوجد إطار عرضه ذراع وخمسة أرباع، كان يُحرر عليه بعض الآيات البينات بالشكل الموضح فيما سبق، وقد نقش على القسم الذي يغطي باب الكعبة من الستارة - وهو القسم المهم منها - بعض الآيات الجليلة والأسماء الشريفة واسم السلطان.

المسجـد الحـرام

هو الجامع الشريف الذي يحيط بالبيت المعظم، وقد كان في عهد النبوة عبارة عن مصلى مفتوح الجوانب، الأمر الذي جعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقوم بإحاطته بالجدران، واشترى المنازل المتصلة بالكعبة الشريفة ووسّع الحرم، وفي عهد عثمان بن عفان اشترى عثمان مجموعة من المنازل الأخرى ووسّع الحرم الشريف فصار ضعف مساحته، ويروى أنه هو الذي قام ببناء الأروقة الموجودة حول الحرم.

وفي خلافة ابن الزبير تم الاعتناء بتزيين الحرم، ووضعت فيه الأعمدة المرمرية.

وللحرم الشريف تسعة عشر بابا[١]، أربعة منها في الشرق، وسبعة في الجنوب، وثلاثة في الغرب، وخمسة في الشمال.

الأبواب الشرقية: باب السلام، باب النبي[٢]، باب العباس، باب على.

---

(١) تذكر بعض المراجع الحديثة أبوابا للحرم منها ما كان موجودا وأزيل في توسعات الحرم، ومنها ما زال باقيا: باب جدة، باب جديد، باب بني جمح، باب دار الندوة، باب الدومة، باب الرحمة، باب شريف، باب بني شيبة، باب الفرضة، باب المدبغة، باب مكة، باب بني هاشم، باب الملك، ...

انظر: عاتق بن غيث البلادي: معجم معالم الحجاز، ج ١، ص ١٦٩-١٧١ .

(٢) **باب جبريل:** هو أحد أبواب المسجد النبوي الشريف، وكان يسمى باب النبي، أو باب آل عثمان .

انظر: عاتق بن غيث البلادي: معجم معالم الحجاز، ج ١، ص ١٦٩.

الأبواب الجنوبية: باب بازان، باب بغلة، باب الصفا، باب جياد[1]، باب مجاهد، باب مدرسة عجلان، باب أم هانئ.

الأبواب الغربية: باب الوداع، باب إبراهيم، باب عمر.

الأبواب الشمالية: باب السدة، باب العجلة، باب القطبي، باب الزيادة، باب الدريبة.

وللمسجد الحرام سبع مآذن ذات شرفتين، يطلق على الأولى منها باب العمرة، وعلى الثانية مئذنة باب علي، وعلى الثالثة باب الوادع، وعلى الرابعة باب الزيادة، وعلى الخامسة مدرسة قايتباي، وعلى السادسة باب السلام، وعلى السابعة مئذنة السليمانية.

---

(١) **باب أجياد:** باب للمسجد الحرام كان يخرج جهة أجياد، وبعد التوسعة لم أرَ أسماء على أبواب الحرم سوى باب الملك.

انظر: عاتق بن غيث البلادي: معجم معالم الحجاز، ج ١، ص ١٦٩.

وبالرغم من أن مؤسس مئذنة باب العمرة هو أبو جعفر المنصور[١]، إلا أن السلطان سليمان القانوني أمر بهدمها عام ٩٣١هـ، وأمر السلطان مراد الثالث[٢] بتجديدها، وهي سداسية الشكل لطيفة للغاية.

أما مئذنة باب السلام فبانيها هو الخليفة المهدي[٣]، وقام السلطان مراد الثالث بتجديدها عام ٩٨٣ هـ.

أما مئذنة باب علي فلأنها قد أشرفت على الانهيار بمرور الوقت ؛ أمر السلطان سليمان القانوني - أسكنه الله الجنة - بهدمها من أساسها وبنائها من جديد من الحجر الشمسي بشرفتين على الطراز التركي.

---

(١) المنصور العباسي (٩٥ - ١٥٨هـ = ٧١٤ - ٧٧٥م) :

عبد الله بن محمد بن علي بن العباس، أبو جعفر، المنصور: ثاني خلفاء بني العباس، وأول من عني بالعلوم من ملوك العرب. كان عارفا بالفقه والأدب، مقدما في الفلسفة والفلك، محبا للعلماء. ولد في الحميمة من أرض الشراة (قرب معان)

وولي الخلافة بعد وفاة أخيه السفاح سنة ١٣٦هـ. وهو باني مدينة "بغداد" أمر بتخطيطها سنة ١٤٥هـ، وجعلها دار ملكه بدلا من "الهاشمية" التي بناها السفاح. ومن آثاره مدينة "المصيصة" و "الرافقة" بالرقة، وزيادة في المسجد الحرام. وفي أيامه شرع العرب يطلبون علوم اليونانيين والفرس، وعمل أول إسطرلاب في الإسلام، صنعه محمد بن إبراهيم الفزاري. وكان بعيدا عن اللهو والعبث، كثير الجد والتفكير، وله تواقيع غاية في البلاغة. وهو والد الخلفاء العباسيين جميعا. وكان أفحلهم شجاعة وحزما إلا أنه قتل خلقا كثيرا حتى استقام ملكه. توفي ببئر ميمون (من أرض مكة) محرما بالحج. ودفن =في الحجون (بمكة) ومدة خلافته ٢٢ عاما. يؤخذ عليه قتله لأبي مسلم الخراساني (سنة ١٣٧هـ)، ومعذرته أنه لمّا ولي الخلافة دعاه إليه، فامتنع في خراسان، فألح في طلبه، فجاءه، فخاف شره، فقتله في المدائن. وكان المنصور أسمر نحيفا طويل القامة خفيف العارضين معرق الوجه رحب اللحية يخضب بالسواد، عريض الجبهة " كأن عينيه لسانان ناطقان، تخالطه أبهة الملوك بزي النساك " أمه بربرية تدعى سلامة. وكان نقش خاتمه "الله ثقة عبد الله وبه يؤمن ".

الزركلي: الأعلام، ج ٤، ص ١١٨

(٢) السلطان مراد الثالث (٩٨٢ – ١٠٠٣هـ/ ١٥٧٤ – ١٥٩٥م).

(٣) أبو عبد الله محمد المهدي ابن المنصور (١٥٨-١٦٩هـ/ ٧٧٤-٧٨٥م).

ومع أن باني مئذنة باب الهدى هو الخليفة المهدي، إلا أن السلطان مراد الثالث أمر بتجديدها هي ومئذنة باب الزيادة تجديدا شاملا عام ٩٨٣هـ، وبقيتا على حالتهما إلى الآن.

أما مئذنة السليمانية فقد بنيت على يد السلطان القانوني عام ٩٧٣هـ، وهي مئذنة ذات ثلاث شرفات مبنية بالحجر المعروف بالحجر الشمسي، ومنقوشة بالذهب.

والمسعى الشريف هو المسافة بين قباب الصفا والمروة، ويقع في الجهة الشرقية للحرم الشريف ويبلغ طوله ٧٦٠ ذراعا.

ويعد هذا المكان اللطيف بمثابة الطريق والسوق معا، وتنظر العين نظرة التأسف على تلك الأحوال التي لا تتناسب مع قدسية هذا المكان الذي يجب أن يكون طاهرا على الدوام، حيث نرى القمامة متجمعة به كل وقت، ولعدم الاعتناء به تنتشر الأمراض فضلا عن المنظر القبيح له.

ويقع الصفا في الناحية الجنوبية، ويقع المروة في الشمال، والآية الكريمة: (إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ)[١] تدل على أنهما مكانان مقدسان.

---

(١) سورة البقرة، آية ١٥٨.

وأول المآثر الشريفة الموجودة بمكة هو البيت الذي وُلد فيه النبي ﷺ في حي بني هاشم.

وثانيها: البيت الذي ولد فيه على بن أبي طالب صهر رسول الله وخليفته وجد الأشراف والسادات(١)، وهو بنفس الحي.

ثالثها: منزل السيدة خديجة الكبرى الواقع بسوق الحجر، وكان مقرا للنبي ﷺ، ونزل عليه الوحي به عدة مرات، وهو نفسه البيت الذي شهد ولادة أبناء الرسول: فاطمة الزهراء ورقية وزينب وأم كلثوم، وقاسم وطاهر.

رابعها: منزل أبى بكر الصديق ويقع في مقابل منزل السيدة عائشة.

خامسها: المنزل الذي ولد فيه أبى بكر الصديق بحي مسفلة(٢).

سادسها: منزل سيدنا حمزة عم النبي صلى الله عليه وسلم.

---

(١) **الأشراف والسادات:** استمر نسل الرسول ﷺ إلى اليوم من حفيديه الحسن والحسين أبناء السيدة فاطمة الزهراء –رضي الله عنهم أجمعين-، وانتشروا في كافة أنحاء العالم الإسلامي، وعُرف أبناء الحسن باسم الأشراف، بينما عُرف أبناء الحسين باسم السادات. وقد حظي آل بيته ﷺ باحترام كبير في شتى أنحاء العالم الإسلامي. وحصلوا على العديد من الامتيازات، وقد أطلق على التنظيم الذي يرعى أمور السادات والأشراف ويتولى رعاية شئونهم في المصطلح العثماني اسم " نقابة الأشراف " (نقابة أشراف – نقيب الأشرافلق)، وكان هذا التنظيم قائماً في دول العالم الإسلامي قبل العثمانيين. وكانت تمنح نقابة الأشراف للسادات من رجال الهيئة العلمية، وكانت للنقباء مكانة رفيعة في التشريفات.

أكمل الدين إحسان أوغلي: الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، ٣٠٤/١ .

(٢) **المَسْفلة:** من السفل: كان يطلق على كل ما انحدر عن المسجد الحرام؛ غير أنه اليوم علم على حيّ من مكة يمتد من المسجد الحرام جنوباً غربياً إلى ما وراء بركة ماجل ينحدر فيها سيل وادي إبراهيم، ويعتبر بعضهم قَوْز المكاسة من المسفلة.

انظر: عاتق بن غيث البلادي: معجم معالم الحجاز، ج ٨، ص ١٥٤ .

سابعها: المكان المعروف باسم دار الخيزران بجهة الصفا، لأن هذا المكان كان مقر إقامة النبي قبل الهجرة.

كما أن هذا المكان شهد إسلام عُمَر الفاروق، ونزلت فيه الآية الكريمة: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ)[1].

ثامنها حجر المتكلم المتصل ببيت السيدة خديجة، وهو من المعجزات النبوية حيث ألقى السلام على النبي ﷺ، ومنقوش عليه:

أنا الحجر المسلِّمُ كل حين * على خير الورى ولي البشارة**

وتلك فضيلة من المعالي * خصصت بها (وإن من الحجارة)** [2].

وبمكة البلد الأمين ثلاثة جبال مأثورة:

---

(١) سورة الأنفال، آية ٦٤.

(٢) سورة البقرة، آية ٧٤ .

أولها: جبل حراء أو النور[1]، ويقع على مسافة ساعة شمال مكة، وقد أمر السلطان عبد العزيز ببناء قبة على المكان الذي كان يتعبد فيه الرسول على هذا الجبل ونزل عليه الوحي فيه.

ثانيها: جبل أبو قبيس ويقع في الجهة الشرقية لمكة البطحاء، وسمي بهذا الاسم لأنه كان مأوى شخص يدعى "أبو قبيس" في عهد الجاهلية.

---

(١) **حراء:** هو الجبل الشامخ ذو الرأس الأزلج المقابل لثَبير الأثْبِرة من الشمال، بينهما وادي أفاعية، يأخذ (أفاعية) الطريق من مكة إلى الشرق ماراً باليمانية، فيه الغار الذي كان يتعبد فيه ﷺ، وفيه نزلت عليه أول سورة من القرآن الكريم:{اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ }، وكان يسمى ثبيراً الأعرج، ويسمى اليوم جبل النُّور، يسيل منه إلى الغرب وادي جليل، وقد وصل اليوم عمران مكة إلى سفوحه الغربية، يرتفع حراء (٢٠٠ متر) عن سطح البحر، وبسفحه الجنوبي آثار عين الزعفران، وهي من العيون التي أجرتها زُبيدة إلى مكة، ثم انقطعت .

قال ياقوت: حراء بالكسر والتخفيف والمد جبل من جبال مكة على ثلاثة أميال وهو معروف ومنهم من يؤنثه فلا يصرفه قال جرير:

ألسنا أكرم الثقلين طرا *** وأعظمهم ببطن حراء نارا

فلا يصرفه لأنه ذهب به إلى البلدة التي حراء بها وقال بعضهم: للناس فيه ثلاث لغات، يفتحون حاءه وهي مكسورة ويقصرون ألفه وهي ممدودة ويميلونها وهي لا تسوغ فيها الإمالة لأن الراء سبقت الألف ممدودة مفتوحة وهي حرف مكرر فقامت مقام الحرف المستعلى مثل راشد ورافع فلا تمال. وكان النبي ﷺ قبل أن يأتيه الوحي يتعبد في غار من هذا الجبل وفيه أتاه جبرائيل عليه السلام، وقال عرام بن الأصبغ: ومن جبال مكة ثبير وهو جبل شامخ يقابل حراء وهو جبل شامخ أرفع من ثبير في أعلاه قلة شامخة زلوج ذكروا أن رسول الله ﷺ ارتقى ذروته ومعه نفر من أصحابه فتحرك فقال رسول الله ﷺ: "اسكن يا حراء فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد". وليس بهما نبات، ولا في جميع جبال مكة؛ إلا شيء يسير من الضهياء يكون في الجبل الشامخ، وليس في شيء منها ماء، ويليها جبال عرفات، ويتصل بها جبال الطائف، وفيها مياه كثيرة .

انظر: الزمخشري: الجبال والأمكنة والمياه، ص١٨- الحِميري: الروض المعطار، ص ١٩٠- ابن الضياء: تاريخ مكة، ص ٩٥- ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٢، ص٢٢٣- عاتق بن غيث البلادي: معجم معالم الحجاز، ج ٢، ص ٢٤٨ - ٢٤٩ .

ثالثها: جبل الثور[1]، وبه غار ثور الذي اختبأ به ناشر أعلام السلام - عليه وعلى آله وصحبه أكمل الصلاة والسلام - لفترة من قريش.

ويقع هذا الجبل جنوب البلدة المعظمة على مسافة ساعتين منها، ولأن الطريق المؤدي إلى الغار الواقع أعلى الجبل المذكور طريق وعر للغاية ولم ير الترميم أو التجديد منذ مئات السنين، يجد الزوار مشقة بالغة في الصعود أو الهبوط منه، وأحيانا يلقى البعض حتفه من قلة المياه أو من أي سبب آخر.

---

(١) **ثَوْر:** بلفظ الثور فحل البقر: اسم جبل بمكة فيه الغار الذي اختفى فيه النبي ﷺ، وقال أبو طالب عم النبي ﷺ:

أعوذ برب الناس من كل طاعن *** علينا بشرٍّ، أو مخلِّق باطل

ومن كشيح يسعى لنا بمعيبةٍ *** ومن مفتر في الدين ما لم يحاول

وثورٍ ومن أرسى ثبيراً مكانه *** وعير وراق في حراء ونازل

وقال الجوهري: ثور جبل بمكة فيه الغار المذكور في القرآن، يقال له: أطحل، وقال الزمخشري: ثور أطحل من جبال مكة بالمَفْجَر من خلف مكة على طريق اليمن، وقال عبيد الله؛ إضافة ثورٍ إذا أريد به اسم الجبل؛ أي: أطحل غلط فاحش، إنما هو ثور أطحل، وهو ثور بن عبد مناة بن أدّ بن طابخة، وأطحل فيما زعم ابن الكلبي وغيره جبل بمكة.

ولد ثور بن عبد مناة عنده فنسب ثور بن عبد مناة إليه.

انظر: الزمخشري: الجبال والأمكنة والمياه، ص ١٤ - عاتق بن غيث البلادي: معجم معالم الحجاز، ج ٢، ص ٩٦، ٩٧ .

وبالبلدة الطيبة مكة مزاران: أحدهما: جنة المعلا[1]، ومدفون به أجداد النبي ﷺ، وعمه أبو طالب، والسيدة خديجة، وآمنة بنت وهب، والعديد من الصحابة الكرام. والآخر: المزار الواقع بالشبيكة[2]، وهو مدفن العلماء والأولياء.

أما المساجد الكبرى المشهورة الواقعة بالبلدة البطحاء وعرفات[3] ومنى فهي:

أولها: مسجد الراية الواقع شرق مكة.

---

(١) **المَعْلاة:** هو القسم العلوي من مكة المكرمة، يطلق اليوم على حي وسوق بين الحجون، والمسجد الحرام، وغالبًا ما يطلق على مقبرة مكة التي صارت تعرف بالمعلاة لوقوعها في هذا الحي.

انظر: عاتق بن غيث البلادي: معجم معالم الحجاز، ج ٨، ص ٢٠١.

(٢) **الشُّبَيْكة:** تصغير الشبكة التي يصاد بها. حي كبير من أحياء مكة يمتد من المسجد الحرام غربًا إلى ريع الحفائر، وشمالاً إلى حارة الباب.

وهي من أعرق أحياء مكة، ولها مقبرة قديمة مهجورة بطرفها الغربي ملاصقة للجسر الكبير الذي أقيم سنة ١٣٩٩هـ، ثم رأيتها سنة١٤٠٠هـ فإذا المقبرة قد أزيلت أو طُمرت، وبقي منها شقق لا تظهر فيه قبور يلعب فيه صبيان الحي.

انظر: عاتق بن غيث البلادي: معجم معالم الحجاز، ج ٤، ص ١٨.

(٣) **عرفات:** بالتحريك، وهو واحد في لفظ الجمع، قال الأخفش: إنما صرف لأن التاء صارت بمنزلة الياء والواو في مسلمين، لا أنه تذكره، وصار التنوين بمنزلة النون، فلما سمي به ترك على حاله، وكذلك القول في أذرعات، وعانات.

وعرفة حدها من الجبل المشرف على بطن عُرْنة إلى جبال عرفة، وقرية عرفة: موصل النخل بعد ضلك بسيلين، وقيل في سبب تسميتها بعرفة إن جبريل عليه السلام عرف إبراهيم عليه السلام المناسك، فلما وقفه بعرفة قال له: عَرَفْتَ؟ قال: نعم، فسميت عرفة، ويقال: بل سميت عرفة بذلك لأن آدم وحواء تعارفا بها بعد نزولهما من الجنة. ويقال: إن الناس يعترفون بذنوبهم في ذلك الموقف، وقيل بل سمي بالصبر على ما يكابدون في الوصول إليها من العرف وهو الصبر، وقال ابن عباس: حد عرفة من الجبل المشرف على بطن عُرَنة إلى جبالها إلى قصر آل مالك ووادي عُرَنَة.

= وقال البشاري: عرفة فيها مزارع وخضر ومباطخ، وبها دور حسنة لأهل مكة ينزلونها يوم عرفة، والموقف منها على صيحة عند جبل متلاطئ، وبها سقايات وحياض وعلم قد بني يقف عنده الإمام.

انظر: الأزرقي: أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، ج ١، ص ٤٣ - الزمخشري: الجبال والأمكنة والمياه، ص ٢٠- الحِميري: الروض المعطار، ص ١٧١ - ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٤، ص ١٠٤ - عاتق بن غيث البلادي: معجم معالم الحجاز، ج ٦، ص ٧٣ – ٧٤ .

ثانيها: مسجد الحرمين الواقع غرب مكة، وقد دخلت طائفة الجــن دين الإسلام في هذا المكان.

ثالثها: مسجد الإجابة الواقع شمال مكة.

رابعها: مسجد البيعة[1] الواقع أعلى الربوة، وقد بايع الأنصار الكرام الرسول عنده.

خامسها: المسجد الواقع بين الجمرة الأولى والجمرة الوسطى في منى، وهو مسجد متصل بدار النحر، حيث كان الرسول صلى الله عليه وسلم ينحر الأضاحي، ويقيم صلاة عيد الأضحى عنده.

سادسها: مسجد الكبش الواقع شمال منى، وهو مكان نحر كبش إسماعيل.

سابعها: مسجد الخيف الواقع في الجهة الجنوبية لمنى، ومدفون عنده سبعون من الأنبياء، ويوجد فيه محل للمحراب النبوي.

ثامنها: مسجد المشعر الحرام الواقع جنوب منى.

---

(١) **مسجد البيعة:** مسجد جُدِّدَ بناؤه في العهد العثماني تراه إذا انحدرت من العقبة – عقبة منى – تؤم مكة يمينك في لحف الجبل على قارعة الطريق. عنده حدثت بيعة الأنصار لرسول الله ﷺ، وخبرها مستفيض في كتب السير وفي تاريخ مكة.

انظر: عاتق بن غيث البلادي: معجم معالم الحجاز، ج ٨، ص ١٤٣ .

تاسعها: مسجد إبراهيم بعرفات.

عاشرها: مسجد التنعيم[1]، ويقع غرب مكة على مسافة ساعة منها.

الحادي عشر: مسجد ذي طوى، الواقع شمال مكة.

الثاني عشر: مسجد الجعرانة، الواقع شمال مكة على مسافة ساعتين منها.

الثالث عشر: مسجد الحديبية، الواقع في مكان يسمى الشمسية على طريق جدة.

ومنذ الدقيقة أو ربما الثانية الأولى التي تشرفت فيها الدولة العثمانية بخدمة الحرمين الشريفين، ونحن نجد كل خليفة منهم له أثر مبرور يستدعي الشكر والسرور على شكل أفضل مما قبله، وهي خيرات خارجة عن الإحصاء والتعداد.

---

(١) **مسجد التنعيم:** هو ما يعتمر منه أهل مكة اليوم، في رأس وادي التنعيم على الثنية البيضاء. جاء في الحديث أن رسول الله ﷺ أمر عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق أن يردف عائشة، فيعمرها من التنعيم مهبط الأكمة، وكانت عائشة رضي الله عنها قد حاضت في الطريق في حجها، فلم تحرم، فلما انقضى الحج أمرها بالعمرة.

وقد عمر المسجد مراراً كما ذكر في تواريخ مكة، وهو اليوم عامر وهو مسجد عائشة، اسمان لمسمّى واحد يصلى فيه.

انظر: عاتق بن غيث البلادي: معجم معالم الحجاز، ج ٨، ص ١٤٥.

وعندما أتى الأمير مصلح الدين[1] من الدولة العلية العثمانية إلى مكة عام ٩٢٣هـ أمر بإنشاء مقام حنفي غاية في الإتقان والانتظام، وأنشأ عليه قبة تسحر الألباب، وأمر بإجراء بعض الترميمات داخل الحرم الشريف، وعندما آل المقام الحنفي الذي شيده الأمير مصلح الدين للدمار، قام أمير جدة الأمير (خوش كلدى) بهدم المقام كلية، وأمر بإنشاء مقام بدلا منه مربع الشكل من طابقين، العلوي للمؤذنين، والسفلي للجماعة الحنفية.

ومع هذا قام بترميم الأماكن التي تحتاج إلى ترميم من المقامات الأخرى، وأسس مخزنين لحفظ متعلقات الحرم الشريف، كما شيد سبعة عشر عاموداً رخامياً لباب إبراهيم، وعندما أهدى السلطان القانوني الحرم الشريف منبراً منحوتاً من الرخام عام ٩٥٦هـ تم وضعه في الجهة الشرقية للكعبة.

---

(١) ومن نصوص الفرمانات السلطانية التي توضح شكل توزيع وتقسيم الصرة التي أرسلها السلطان سليم الأول مع الأمير مصلح الدين:

عندما يصل الأمير مصلح الدين إلى مكة يقسم نقود الصدقة الرومية الممنوحة له بموجب الدفتر المسلّم له (دفتر الصرة). ثم أوصى من أخذوا من تلك العطية السلطانية بالدعاء للسلطان. ثم يجتمع العلماء والأعيان والأشراف المسجلة أسماؤهم في الدفتر =ليأخذوا من الصدقة ليقرءوا جميعا الخاتمة ثم يدعون بالخير وزيادة العظمة للدولة وطول العمر للسلطان.

وعند انتهاء الخاتمة الشريفة، يقوم الأمير مصلح الدين بتخصيص ٣٠ شخصا من الحفظة الصالحين، وذلك بموجب الأمر الممنوح له، ويكلفهم بقراءة الخاتمة الشريفة كل يوم نظير ١٢ قطعة ذهبية في العام لكل واحد منهم. ونفس الشيء يفعله مع العلماء، حيث يختار منهم مجموعة؛ لتقوم بقراءة البخاري والشفاء الشريف، وأن يداوموا على ذلك.

- E .Sabri, Mirat, c. ١, s., ٦٧٨. M .Dohsson, t٢, p .٨٢ .

وكتب عليه الآية الكريمة: (إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)[1] اقتباسا منه لاسمه، وإشارة منه لعلو مقامه، فهو حاكم الزمان الخاقان المشار إليه بالبنان.

نملة جـاءت برجـل مـن جـراد

تو سليماني كن أى عالي النهاد

وهذه الأبيات تدل بداهة على أن هذه الهدية بسيطة وقاصرة.

ويجمع هذا المنبر نفائس ودقائق فن الحفر على الرخام، فالنقوش المحفورة على جسم المنبر تجعل الناظر إليه ينظر إليه بالساعات وهو في حيرة من أمره.

وقام السلطان القانوني بهدم المئذنة التي أسسها الخليفة المهدي عندما ظهرت عليها علامات الضعف والانهيار، وبناها من جديد بالأحجار الصفـراء المستخرجة من المنطقة المسماة شمسية.

وقام السلطان القانوني -أيضاً- بترميم منزل السيدة آمنة والدة درة الوجود صاحب الرسالة ترميما كاملا، وجعله مسجدا.

---

(١) سورة النمل، آية رقم ٣٠ .

وفي عام ٩٥٩هـ أصدر السلطان القانوني إرادة خاقانية(١) صادرة بالشرف تم بمقتضاها تجديد الأخشاب التي تعرضت للكسر على سقف الكعبة، وشُيد السقف من جديد، وجددت الرمال ذات الحصى الصغير التي تحيط بالمطاف بشكل لم يسبق له مثيل.

وقد نظم المرحوم قطبي أفندي هذه الأبيات التي تتفق مع تاريخ الترميم:

فـــاز مــولا سليمــان الــذي

باب بيــت الله فض وصفحــا

في زمــان قيــل في تاريخه

قف في باب الله علك تفلحا

---

(١) إرادة Irade: الأمر السلطاني، المرسوم، وقد بدئ باستخدام هذا المصطلح في عام ١٨٣٢م، فقد كان عرض أحد الموضوعات على السلطان يتم بعرض ملخص موجز عنه عليه، فتسمى مذكرة العرض أو التلخيص، ولكاتبه الملخص، فيقوم السلطان بقراءته ويبدي رأيه في الموضوع. فهذا التعليق من السلطان يسمى الخط الهمايوني.

أما بعد التاريخ المذكور، فقد أصبح المستشار الخاص للسلطان هو المخاطب في المعروضات الموجهة للسلطان، فيقوم المستشار بقراءة الخطاب على السلطان، وبعد الانتهاء منه يبدي السلطان رأيه في الموضوع شفاهة، فيدونه المستشار في أسفل الخطاب ذاته بشكل مائل، فهذا ما سمي بالإرادة .

أما بعد المشروطية فقد كان دور السلطان يكمن في التصديق على القرارات المتخذة من لدن مجلس الوكلاء، وهذا التصديق أيضاً سمي بالإرادة؛ غير أن الفرمان اقتصر على أشياء خاصة مثل توجيه الأوسمة والنياشين والرتب والمناصب لأصحابها.

سهيل صابان: المعجم الموسوعي، ص ٢٧

وقد وفق السلطان سليمان في تجديد باب الكعبة وأمر بكتابة جملة التوحيد (لا إله إلا الله محمد رسول الله) على لوحة فضية تعلو عتبته العلوية، كما صنع قفلا فضيا له، ورمم الأخشاب الموجودة به، وكتب عليه دعاء: (يا مفتح الأبواب افتح لنا أبواب رحمتك ومغفرتك).

وفي عام ٩٦٠هـ أرسل ميزابا فضيا من استانبول، وبعد أن وضع في مكانه، أرسل الميزاب القديم إلى الخزينة الهمايونية[١].

وفي عام ٩٧٣هـ أمر السلطان القانوني بإنشاء أربع مدارس تتصل بالحرم الشريف في مكة لتكون خاصة بعلماء المذاهب الأربعة، واشترط لكل مدرسة أن يكون بها مسجد، وخمسة عشر طالباً، ومدرسا.

(١) **همايون** Humayum: كلمة تعظيم خاصة لسلاطين الدولة العثمانية. فـ"هما" باللغة الفارسية، و"أما" باللغة التركية تعني طائراً أسطورياً ذا حظ وقدرة، وقد اتخذها سلاطين الغز الأتراك رمزاً لهم، وانتقل منهم إلى السلاطين العثمانيين. كان يستخدم مضافاً للمتعلقات الخاصة بالسلاطين فيقال: الذات الهمايوني، الطغراء الهمايوني، الجيش الهمايوني، وهكذا.

سهيل صابان: المعجم الموسوعي، ص ٢٢٦ .

وبخلاف هذا توجد مدرسة لكل من الشهيد محمد باشا وداود باشا من الوزراء العثمانيين، وعمارة خيرية[١] موجودة حتى وقتنا هذا من منشآت خاصكي سلطان[٢] ابنة السلطان القانوني.

ولما أشرفت أطناف وسقف الحرم الشريف على الانهيار عام ٩٧٩هـ هُدم السقف الخشبي الذي أسسه السلطان سليم قبل ذلك، وكُلف سنان باشا[٣]

---

(١) **عمارات:** اسم يطلق على مؤسسة يقدم فيها الطعام لطلبة المدارس والفقراء، كما يطلق عليها في التركية (آش خانه) (آش اوي) بمعنى بيت الطعام، ومن هذه المطاعم أو المبرات (حامدية عمارتي) و(آيا صوفيا عمارتي) وهي مبرات يقيمها أهل الثراء على أنها أعمال خير وبر يحتسبونها عند الله لأنهم يطعمون الفقراء من جوع، وعند الله لهم بذلك حسن الجزاء.

ومما يذكر أنه كان في استانبول ما يربو على عشرين مبرة من هذه المبرات، وفي كل يوم كان يطعم في الواحدة منها ما لا يقل عن خمسة آلاف طاعم، ويتردد عليها طلبة المدارس، وخدم المساجد والعاملون في المؤسسات الخيرية والفقراء عموماً، والمسافرون.

ومما تجدر الإشارة إليه أنه في سنة ١٣٣٠هـ/١٩١١م صدر قانون بالإبقاء على مبرتين منها في استانبول، واستخدمت مباني المبرات الأخرى في أغراض مغايرة، مثال ذلك أن منها ما أصبح متحفاً للآثار الإسلامية التركية، ومنها ما جعل مصنعاً للخزف.

حسين مجيب المصري: معجم الدولة العثمانية، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ٢٠٠٤م، ص ٩٢.

(٢) **خاصكي سلطان / خُرّم سلطان:** هي زوجة السلطان سليمان القانوني وليست ابنته، فابنته هي مهرماه سلطان، وكلتاهما قدمت الكثير من الأوقاف الخيرية في استانبول وفي مكة المكرمة والمدينة المنورة والعديد من مدن الدولة العثمانية.

فمما قدمته خاصكي سلطان (ت ٩٦٥هـ/١٥٥٨م) مؤسستين خيريتين لخدمة فقراء المسلمين وطلاب العلم ورباط لسكنى الطلاب في الحرمين فضلا عن مسجد ومدرسة، وأوقفت على هاتين المؤسستين أوقافا كثيرة للإنفاق عليهما .

انظر: محمد الأمين المكي: خدمات العثمانيين، مرجع سابق، ص ٦٠.

(٣) سنان باشا (٥٠٦ – ١٥٩٦م) رجل دولة وقائد عسكري عثماني من أصل ألباني. سمي واليا على مصر مرتين: الأولى(٩٧٦ -٩٧٨هـ/١٥٦٧-١٥٦٩م) والثانية (٩٨٠-٩٨٢هـ/١٥٦٩-١٥٧١م) قاد سنة ١٥٧٤م الحملة العثمانية على تونس التي شكلت نهاية الاحتلال الإسباني للبلاد وبداية الحقبة العثمانية بها. كما كان قائد حملة عسكرية كبيرة إلى اليمن لإخماد تمرد الإمام الزيدي المطهر بن يحيى شرف الدين عام١٥٧١م.

والي مصر بإنشاء قباب مزينة تستقر على أعمدة رخامية، وقد عهد سنان باشا إلى أحمد بك من الأمراء المصريين ليكون أمينا للبناء لتوفير الأدوات اللازمة، وبالرغم من أن أحمد بك شرع في البناء إلا أن السلطان سليم توفي قبل الانتهاء منه، ولم يكتمل إلا في عهد السلطان مراد الثالث.

وقد أرسل من خزينة السلطان في هذه الإنشاءات مئة وعشرة آلاف عملة ذهبية، بخلاف ما أرسل من مصر. والهيئة الحالية هي أثر عمارة هذا العصر.

وقد أحضرت الأعمدة الرخامية الضخمة للغاية التي تحيّر أصحاب فن رفع الأثقال لجسامتها وشكلها، أحضرت بأكملها من مصر بهمة السلطان مراد.

وتوجد كتابة عربية على الحائط الشرقي للحرم الشريف بها تاريخ التجديد كتب بها (باسمه سبحانه وتعالى، " إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللَّهَ فَعَسَى أُوْلَئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ"[1].

---

(١) سورة التوبة، آية رقم ١٨ .

شرع في عمارة هذا المسجد الشريف وتجديده من خلقه وعبيده المقدس المرحوم المبرور المغفور له الشهيد سلطان الإسلام والمسلمين خاقان خواقين العالمين بفضل الله، ظلال دار النعيم حضرة الملك الأعظم السلطان سليم-نوّر الله ضريحه بروايح الحياة-وأتم بناءه وأكمله وأتقنه، ونقشه، وجمّله وارث الملك الأفخم؛ الإمام الأعظم، والخليفة الأكرم المعظم، والملك القاهر العرمرم، من ملّكه الله تعالى شرق البلاد وغربها، وجعل طوع يديه عجم الرعايا وعربها، وأطلعه سراجا منيرا في المشارق والمغارب، وملكا مرفوع المقام على هرم الكواكب، ومشيد السلام حصنا حصينا محيطا، وجعل ظله الممدود على كافة الأنام بسيطا، وعدله الفريد في جميع الوجود مبسوطا، وقمع بسلطته الشريفة طوائف الكفر والغلا، جمع له بين البأس والندى،

وسار ملكه الشريف بعون الله سبحانه مفردا، خليفة الله لكافة العباد، ورحمته الشاملة على جميع البلاد، سلطان سلاطين الزمان، خلاصة خواقين آل عثمان، السلطان ابن السلطان؛ الخنكار[1] الأعظم مراد خان، ما زال الوجود بدوام خلافته عامرا، وما برح الإيمان في أيام سلطنته قويا ظاهرا، زاده الله قوة ونظرا، وشد بملائكته الكرام أجرا، فتاريخ إتمامه قد جاء -أطال الله من أتمه عمراً- (٩٨٤هـ).

وقد أهدى السلطان مراد الثالث في هذا التاريخ الكعبة المشرفة ثلاثة قناديل مصنوعة من الذهب ومزينة ومرصعة بشتى أنواع الجواهر، ومؤخرا وفق في إهداء الكعبة قنديلا آخر مصنوعا من الذهب الخالص لم يُر له مثيل، بداخله تضرُّع مكتوب بخط السلطان من الأسلاك الذهبية، لذا تم تعليقه داخل بيت الله.

(١) **الخنكار:** الخنكار معناه السعيد، الحسن الحظ، استخدمت كلقب بمعنى حاكم أو سلطان، وتطلق أيضا على بعض الأولياء الكرام، وقد أشار البعض إلى أن سلاطين آل عثمان استخدموا هذا اللقب منذ القرن ١٧م على الأقل، كما لقب به كثير من الأعيان في الدين والتصوف بخاصة. وقيل إنه مشتق من كلمة خداوندكار التركية ن وهو أيضا مأخوذ عن كلمة خداوند الفارسية بمعنى سيد، أمير، الله.

خداواندكار Hüdavendigar: وهي مشتقة من كلمة خداوند الفارسية التي تعني أمير أو صاحب، أو سلطان، وهي لقب السلطان مراد الأول، وسميت به مدينة بورصا كذلك.

مصطفى بركات: الألقاب والوظائف العثمانية، دار غريب، القاهرة، ٢٠٠٠م، ص ٣٢ - سهيل صابان: المعجم الموسوعي، ص ٩٦

ولما آل ظرف وأركان سقف كعبة الله للانهيار في عام ١٠٢٠هـ في عهد سلطنة السلطان أحمد، تقرر عمل التجديدات اللازمة بناءً على الفتوى الشرعية التي صدرت في ذلك، وورد بخاطر صاحب الخلافة أن يقوم بتقوية الكعبة من زاويتين بالإطارات الحديدية، على أن تكون تلك الإطارات طبقة من ذهب وطبقة من فضة، وأن يقوم بتغيير الميزاب، وتم صنع هذه الإطارات في استانبول تحت إشراف السلطان، وسلمت إلى والي الحبشة وجدّة حسن باشا، وهذه هي الأشياء التي تم تسليمها إلى حسن باشا:

١٦ عامودا على أن يكون بكل حائط من حوائط الكعبة أربعة.

طاق مقوس لنقطة تلاقي الإطارات فوق باب الكعبة.

ولوحة فضية لكتابة التاريخ عليها.

وأخشاب جيدة كافية لسقف الكعبة.

واللوحة المذكورة وزوايا الإطارات والطبقة الأولى والثانية منها من الذهب، أما الطاق المقوس وكافة الأعمدة والطبقة الخارجية من الإطارات من الفضة، وبكل ما ذكر نقوش دقيقة ونفيسة.

وقد قام حسن باشا بإصلاح ما يمكن إصلاحه من الأركان الأربعة للكعبة، وكذا رخام السقف، مثلما أتم المهمة المكلف بها في شهر المحرم عام ١٠٢١هـ.

وقد كتب على اللوح الفضي المذكور هذا النظم:

اللــوح ذا لمــا استــرم مجددا

قد بدل السلطان أحمد مسجدا

قيد آلة مــن حديــد ذو جــدا

الله أنعـــم بالمجـــد أبـــدا

ألهمــت فــي تاريخه لما بــدا

اللوح ذا السلطان أحمد جددا

١٠٢١

وكان السلطان أحمد[١] يأمل أن يؤدى خدمة جليلة للحرمين الشريفين بأن يبنيهما حجرا من ذهب وحجرا من فضة،

---

(١) السلطان أحمد الأول (١٠١٢ –١٠٢٦هـ/ ١٦٠٣-١٦١٧م)

إلا أنه عدل عن هذه الفكرة عندما أجابه شيخ الإسلام[١] في ذلك الوقت محمد أفندي[٢]؛ قائلاً: (لو أن الله تعالى أراد ذلك لصنعه من ياقوت)، فقام السلطان أحمد بصنع سياج حديدي على بئر زمزم.

ولعل السبب في ذلك هو قيام بعض العاشقين بإلقاء أنفسهم في البئر من شدة الوجد، وبالتالي يفنون أعمارهم.

وفي عام ١٠٢١هـ صنع السلطان أحمد في استانبول ميزابا غاية في الجمال مصنوعًا من الفضة ومطليًا بالذهب واللازورد، وأرسله إلى مكة ووضع في مكانه.

---

(١) **شيخ الإسلام:** أعلى منصب ديني في الدولة العثمانية، كان مسئولاً عن تعيين القضاة وعزلهم والإشراف على التدريس والمدارس وإصدار الفتاوى الشرعية، وقد استخدم هذا اللقب في نهايات القرن السابع عشر الميلادي بعد أن كان يسمى مفتيًا، بدأت ترشيح شيخ الإسلام لمجلس الوكلاء منذ أواسط القرن التاسع عشر الميلادي، واستمر إلى نهاية الدولة العثمانية.

سهيل صابان: المعجم الموسوعي، ص ١٤٢ .

(٢) **شيخ الإسلام محمد أفندي:** (٩٧٥-١٠٢٤هـ / ١٥٦٨-١٦١٥م) هو العالم الشهير المولى محمد شريف بن محمد سعد الدين (شيخ الإسلام الأسبق) بن حسن جان التبريزي، الشهير بخواجه زاده، وكان يعرف أيضا بمحمد جلبي، تولى منصب شيخ الإسلام مرتين: الأولى في الفترة (١٦٠١-١٦٠٣م) والثانية (١٦٠٨-١٦١٥م) في عهد السلطان محمد الثالث، والسلطان أحمد الأول. شارك السلطان محمد الثالث في حملته العسكرية على قلعة أكري شمال المجر عندما كان قاضيا لعسكر الأناضول ١٥٩٦م، له كتاب (ذيل على تاج التواريخ) وكتب وشروح أخرى، كان عالما بالشرع، والفقه، كما كان خطاطا وشاعرا ماهرا بالعربية والتركية والفارسية .

أحمد صدقي شقيرات: تاريخ مؤسسة شيوخ الإسلام في العهد العثماني، الأردن، ٢٠٠٢م، ١/ ٤٥٢-٤٥٥ .

وفي اليوم التاسع عشر من شهر شعبان عام ١٠٣٩هـ هطل المطر بشدة على مكة، فكان كالسيل العظيم حتى إن المياه أغرقت قسما من مكة ودخلت إلى الحرم الشريف، وتخطت ما فوق قفل باب المعلا بذراعين.

وكان ذلك سببا في ميل الكعبة وإشرافها على الانهيار، وفي اليوم الحادي والعشرين من نفس الشهر تهدمت جدران الكعبة الأربعة فجأة ما عدا جدار الناحية الشمالية، وعرض هذا الأمر على السلطان.

وفي النهاية تم تجديد البيت المعظم، وأجريت الترميمات اللازمة في الحرم بمعرفة المهندسين والمعماريين الذين أتوا من استانبول، وكذا المصروفات التي أرسلتها استانبول لهذا الأمر، وذلك بإشراف (رضوان أغا[١]) الذي اختاره والي مصر لهذه المهمة، وصدق السلطان على ذلك.

---

(١) **آغا Aga:** مصطلح من أصل فارسي، ويعني " السيد "، وقد استعمله الأتراك لدلالات كثيرة؛ منها أنها كانت تطلق على الضباط الأميين مثل الانكشارية الذين لا يحتاج عملهم إلى معرفة القراءة والكتابة. ومنها أيضاً صاحب المنصب الكبير، وكان هذا اللقب مهماً للغاية في عهود القوة والنفوذ.

وفي الفترة الأخيرة من العهد العثماني أصبح يطلق على الإنسان الكريم صاحب المكانة العالية، وصاحب الفضيلة، كما كان يدل في الوقت ذاته على التكبر والتفاخر، ويذكر أن هذه الكلمة محرفة من كلمة "آقا" المغولية-وقيل الفارسية – المستخدمة صفة للعلماء.

سهيل صابان: المعجم الموسوعي ص ١٤ .

وقد كتب على قسم من هذه التجديدات ما يلي:

"بسم الله الرحمن الرحيم. ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم، تقرب بتجديد هذا البيت العتيق إلى الله -سبحانه وتعالى- خادم الحرمين الشريفين، وسائق الحجاج من البرين والبحرين السلطان ابن السلطان ابن السلطان مراد خان ابن السلطان أحمد خان ابن السلطان محمد خان -خلّد الله ملكه وأيّد سلطنته- في أواخر شهر رمضان المبارك المنتظم في سلك الشهور سنة أربعين بعد الألف من الهجرة النبوية ".

وقد استمرت التجديدات والترميمات عامًا كاملاً، حيث انتهت في السادس عشر من شهر شعبان سنة ألف وأربعين. ونظم لهذا التاريخ ما يلي:

مــراد بنــى بيــت الإله وزاده

سناءً بهاءً يزدهي زيد مجده

واتفقت جملة (ورفع الله القواعد من البيت) مع الإنشاء.

كما قام السلطان مراد عام ١٠٤٣ هـ بخلع الميزاب -الذي صنع في عهد السلطان أحمد- وزينه بالنجوم المذهبة، ووضعه مكانه مرة أخرى.

وقد رأيت أنه من المناسب الآن إدراج تلك الأبيات الثلاثة المعبرة للغاية التي نظمها الشاعر محمد على بن علاء الصديق وتعبر وتعدد من قام بترميم وتجديد الكعبة المشرفة حتى الآن، يقول:

بنى كعبة الغضاء آدم وولده

شيد فإبراهيم ثم العمالقة

وجرهم قصي مع قريش وتلوهم

هو ابن الزبير ثم حجاج لاحقه

ومن بعد ذا قد بنا البيت كله

مراد بن عثمان فشيد رونقه

وبالرغم من أن بيت الله المعظم درة الأفلاك المغبوط على درجة رفعته قد ترك على حالته هذه حتى عام ١٠٤٥هـ، إلا أنه قد أرسل من استانبول باباً فضياً للكعبة، وهذا الباب هو الباب الموجود حاليا، ويصادف الناظرون إليه اسم السلطان مراد على مصراعيه.

وفي عام ١٠٤٥هـ أمر السلطان مراد بترميم كل الأماكن التي تحتاج إلى الترميم في دائرة الحرم بشكل كامل.

وقام والي مصر محمد باشا[١] بهدم المقام الحنفي الذي أوشك على الانهيار، وبناه من جديد بناءً على الإرادة السنية الصادرة بالشرف في تاريخ ١٠٧١هـ؛ فقام بإصلاح مرمر المطاف الشريف، وطهّر مجرى عرفات.

---

(١) (١١٨٤ - ١٢٦٥ هـ / ١٧٧٠ - ١٨٤٩م)

وعندما ظهرت الحاجة لترميم بعض الأماكن في بيت الله المعظم في عهد السلطان مصطفى خان، تم تجديد خمسة أعمدة خشبية للسقف، وتم -أيضًا- تجديد السلم الذي يصعد منه إلى سطح الكعبة، فكسي أول سبعة أقدام منه بالرخام والباقي بالخشب، ولما أوشكت الجهات الأربع للحجر الأسود -أيضًا- على الانهيار، هدمت وتم بناؤها من جديد.

وفي عهد السلطان عبد المجيد خان[1]، تم ترميم بعض الأعمدة والقباب التي سقطت في الحرم الشريف، كما تم ترميم أبنية بئر زمزم، ومئذنة باب العمرة.

وفي عام ١٢٥٣هـ أحال السلطان محمود -أسكنه الله الجنة- أمرًا بترميم وتجديد الحرم الشريف إلى محمد على باشا والي مصر، فقام بتجديد الرخام الذي على السطح، حيث وُضع بدلا منه مرمر مجلي جُلب من استانبول.

---

(١) السلطان عبد المجيد الأول (١٢٥٥-١٢٧٧هـ/١٨٣٩-١٨٦١م)

وفي تلك الفترة -أيضاً- تمت بعض أعمال الترميم والتجديد باسم هذا السلطان، حيث تم ترميم القبة النبوية للخيمة الواقعة بالحرم اللطيف لمسجد الخيف الواقع في ساحة منى، وترميم مئذنة مسجد المشهد الحرام بالمُزْدَلِفَة[1]، كما تم ترميم وفرش وتزيين كل من:

مسجد إبراهيم المسمى مسجد عزه الواقع بعرفات، ومسجد الإجابة، ومسجد الجن[2] بالمعلا، ومسجد التنعيم بالعمرة، ومسجد الحديبية،

---

(١) **المزدلفة:** بالضم، ثم السكون، ودال مفتوحة مهملة، ولام مكسورة، وفاء، واختلف فيها لم سميت بذلك فقيل: مزدلفة منقولة من الازدلاف وهو الاجتماع، وفي التنزيل:"وأزلفنا ثم الآخرين" وقيل: الازدلاف الاقتراب لأنها مقرّبة من الله، وقيل: لازدلاف الناس في منى بعد الإفاضة، وقيل: لاجتماع الناس بها، وقيل: لازدلاف آدم وحواء بها أي لاجتماعهما، وقيل: لنزول الناس بها زلف الليل، وهو جمع أيضاً. وقيل: الزلفة القربة، فسميت مزدلفة؛ لأن الناس يزدلفون فيها إلى الحرم، وقيل: إن آدم لما هبط إلى الأرض لم يزدلف إلى حواء أو تزدلف إليه حتى تعارفا بعرفة، واجتمعا بالمزدلفة فسميت جمعاً، ومزدلفة هو مبيت للحجاج، ومجمع الصلاة إذا صدروا من عرفات. وهو مكان بين بطن محسر والمأزمين.

والمزدلفة: المشعر الحرام، ومصلى الإمام يصلي فيه المغرب والعشاء والصبح، وقيل: لأن الناس يدفعون منها زلفة واحدة؛ أي جمعاً، وحدّه (إذا أفضت من عرفات تريده فأنت فيه حتى تبلغ القرن الأحمر دون محسر) وقُزَح الجبل الذي عند الموقف، وهي على فرسخ من منى بها مصلى وسقاية ومنارة وبرك عدة إلى جنب جبل ثَبير.

انظر: الحِميري: الروض المعطار، ص ١٧١- ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٥، ص ١٢٠- أبو عبيد البكري: معجم ما استعجم، ص ٣٢٣ - الأزرقي: أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، ج ٢، ص ١٩٢- عاتق بن غيث البلادي: معجم معالم الحجاز، ج ٨، ص ١٣٧.

(٢) **مسجد الجن:** مسجد بمكة بالمعلاة يدعه المنحدر مع البطحاء يمينه إذا تجاوز ربيع الحجون، ويروى في سبب تسميته أن نفراً من أصحاب رسول الله ﷺ افتقدوه يوماً، وبينما هم يبحثون عنه فإذا به مقبل من جهة المعلاة، فسألوه عن سبب غيابهﷺ، فقال لهم ما معناه: " كنت أُفَقّهُ إخوانكم من الجن "، وكان موضع المسجد هو ذلك المكان الذي اجتمع فيه الجن، أما من قال: إنه سمي بذلك لأن الجن استمعوا القرآن هناك: { قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا }، فمن الثابت أن ذلك بنخلة، مرجعه ﷺ من الطائف.

انظر: الأزرقي: أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، ج ٢، ص ٢٠٤، ٣٦٣ - عاتق بن غيث البلادي: معجم معالم الحجاز، ج ٨، ص ١٤٥ .

وجامع مولد النبي بمكة، ومسجد السيدة خديجة بالمعلا، وقبر وقبة السيدة آمنة، ومنزل السيدة خديجة بمكة، وقبرها الميمون الواقع بين وادي فاطمة وعمرة[١].

كما تم تغيير العديد من أُسطوانات الحرم الشريف في تلك الأثناء.

وفي عام ١٢٥٩هـ قام السلطان عبد المجيد خان -جعل الله الفردوس الأعلى مثواه- بتجديد بعض القواعد والأحجار التي تصدعت في الكعبة المشحونة بالفيض، وحول الحجر الأسود، كما رمم قباب الحرم، وأحدث الأرصفة على الناحية الداخلة إلى باب علي ومدرسة السليمانية.

---

(١) **عمرة / التنعيم:** على لفظ المصدر من نعمته تنعيماً. وهو بين مرو وسرف، بينه وبين مكة فرسخان، ومن التنعيم يحرم من أراد العمرة، وهو الذي أمر رسول الله ﷺ عبد الرحمن بن أبي بكر يعمر منه عائشة، وإنما سمي التنعيم لأن الجبل الذي عن يمينه يقال له نعيم، والذي عن يساره يقال له ناعم، والوادي نعمان.

وروى يوسف بن ماهك عن حفصة بنت عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق ﷺ أن رسول الله ﷺ قال له: [يا عبد الرحمن أردف أختك عائشة فأعمرها من التنعيم، فإذا هبطت بها من الأكمة، فلتحرم فإنها عمرة متقبلة].

قال عاتق البلادي: وقوله بين مرو وسرف خطأ، والصحيح أنه بين سرف ومكة. أما التنعيم فهو شجر معروف في البادية، وربما سمي به، كما نقول: ذو السلم وذو المرخ، ويقول الحموي: موضع بمكة في الحل، وهو بين مكة وسرف، على فرسخين من مكة وقيل على أربعة، ثم ذكر تعليل الاسم المتقدم، وبالتنعيم مساجد حول مسجد عائشة، وسقايا على طريق المدينة، ومنه يحرم المكّيون بالعمرة.

انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٢، ص ٤٩ - الحِميري: الروض المعطار، ص ١٣٩ - ابن الضياء: تاريخ مكة، ص ٥٥، ٨٧- أبو عبيد البكري: معجم ما استعجم، ص ٩٣ - عاتق بن غيث البلادي: معجم معالم الحجاز، ج ٢، ص ١٤٤ - ١٤٥.

وفي عام ١٢٦٠هـ أرسل إلى الحرم الشريف أربعة قناديل على أن يوضع كل واحد منها في جهة من جهات الحرم الشريف بشكل متناظر، كل قنديل منها على شكل النخلة.

وفى نفس السنة تم تجديد بعض أعمدة الحرم الشريف التي أوشكت على الانهيار، كما تم تجديد حوائط مقبرة المعلا، وتقوية وتشييد جدار الحطام الشريف.

ومن ذلك -أيضاً- حفظ الحجر الأسود في حافظة مصنوعة من الفضة.

وفي عام ١٢٦٢هـ قام عثمان باشا التاتاري والي جدة وأمين البناء بالمسجد الحرام بتحويل المخزنين الموجودين في ساحة المسجد الحرام إلى مزولة ومكتبة، ووضع بالمكتبة أمهات الكتب التي أرسلت من استانبول وأسماها المكتبة المجيدية(١).

وفي عام ١٢٩٨هـ نقلت المكتبة والمزولة إلى محل آخر.

وفي نفس تلك السنة قام عثمان باشا المذكور بتقوية وتجديد مسجد الخيف ومسجد الكبرى بالطائف باسم الخلافة الكبرى، وجدد -أيضاً- قبر عبد الله بن العباس، وقبر طاهر بن رسول الله، وقبر محمد حنفي بن علي(٢).

---

(١) نسبة إلى السلطان عبد المجيد الأول .

(٢) يعني به محمد بن الحنفية، وهو ابن الإمام علي بن أبي طالب من زوجة أخرى غير السيدة فاطمة الزهراء. وأطلق عليه ابن الحنفية نسبة إلى أمه المنتسبة إلى بني حنيفة.

وفي نفس تلك السنة -أيضًا- قام المشار إليه بناء على المطلب الهمايونى الصادر بالشرف للسلطان عبد المجيد خان من قلبه المضيء الذي هو مرآة الإلهام الرباني، بتجديد المنزل الذي ولد فيه النبي، ومنزل أبى بكر، والمنزل الذي ولد فيه حيدر[١]، ودار الخيزران[٢]، ومسقط رأس حمزة[٣]، وقبر السيدة ميمونة[٤]، وضريح الشيخ محمود، ومقابر الشهداء، ومسجد مذبح إسماعيل الواقع بمنى، وسبيل باب الصفا.

وأمر بإنشاء سبيل مياه بجانب قبر السيدة ميمونة الذي جدده -أيضًا-.

---

(١) حيدر هو أحد ألقاب الإمام علي بن أبي طالب .

(٢) **الخيزران** (٠٠٠ - ١٧٣ هـ = ٠٠٠ - ٧٨٩ م) :

زوجة المهدي العباسي، وأم ابنيه الهادي وهارون الرشيد، ذكر الزركلي وغيره أنها توفيت ودفنت في بغداد.

انظر: الزركلي: الأعلام، ج ٢، ص ٣٢٩ .

(٣) حمزة بن عبد المطلب عم النبي ﷺ.

(٤) أم المؤمنين رضي الله عنها .

(وقد أمر الأمير الأسبق عون الرفيق باشا[1] بهدم قبر الشيخ محمود المذكور سابقا، وهدم كل مقابر الأولياء وسائر الشهداء).

والمساحة المسطحة لرصيف المطاف الشريف هي ٢٧٦٢ قدمًا مربعًا، وقد أحيطت أطرافه بأعمدة من الحجر الأسود المربوطة ببعضها البعض، مربوط بين تلك الأعمدة ٣٢٤ قنديلاً.

وفي عام ١٢٧٠هـ أصدر السلطان عبد المجيد -جعل الله مثواه الجنة- أمره بتكثير عدد الأعمدة، وعدد القناديل المعلقة.

وفي عام ١٢٧٣هـ جدد ميزاب الكعبة الشريف ليكون من الذهب، وقد كتب على هذا الميزاب ما يلي:

---

(١) عون الرفيق (١٢٥٦ - ١٣٢٣ هـ = ١٨٤١ - ١٩٠٥ م):

عون الرفيق "باشا" بن محمد بن عبد المعين بن عوف: شريف حسني، من أمراء مكة. ولد فيها، وناب في إمارتها عن أخيه الشريف حسين، ثم توجه إلى الآستانة سنة ١٢٩٤ هـ، ولقب فيها بالوزارة. وولي مكة سنة ١٢٩٩ هـ، بعد انفصال الشريف عبد المطلب بن غالب عنها، فعاد إليها، وخلا له الجو، فتصرف بشئونها تصرف المستقل المالك. وكان جبارا، طاغية، خافه الناس. وامتد سلطانه إلى أن توفي بالطائف. وكانت تصيبه نوبات صرع، قال صاحب "إدام القوت" في خبر له عن السلطان عوض بن محمد القعيطي: "حج السلطان عوض، وزار الشريف عون الرفيق، فرد له الشريف الزيارة، فأدركته عنده نوبة صرع، فانزعج القعيطي وظنها القاضية، حتى هدأه أصحاب الشريف وقالوا له إنما هي عادة تنتابه من زمان قديم"، وأشار صاحب "مرآة الحرمين" إلى شيء من سيرته فقال: ليس أدل على فداحة ظلمه وتفاقم شره وتماديه في غيه من كلمات ثلاث: إحداها رسالة عنوانها "ضجيج الكون من فظائع عون" كتبها السيد محمد الباقر بن عبد الرحيم العلوي سنة ١٣١٦ هـ، والثانية "خبيئة الكون فيما لحق ابن مهني من عون"، رسالة كتبها الشريف محمد =ابن مهني العبدلي وكيل الإمارة بجدة وأمير عربانها، والثالثة قصيدة للشاعر أحمد شوقي، سنة ١٣٢٢هـ، مطلعها: "ضج الحجاز وضج البيت والحرم"، واستصرخت ربها في مكة الأمم " قلت: ويتناقل أهل مكة حتى الآن بعض أخباره.

الزركلي: الأعلام، ج ٥، ص ٢٨ .

(جدد هذا الميزاب المنير، لوجه الله الكريم الخبير، سلطان البرين والبحرين المفتخر بخدمة الحرمين الشريفين، السلطان الغازي عبد المجيد خان ابن محمود خان ابن عبد الحميد خان، بعدما وهن الميزاب الذي جدده جده السلطان الأعلى أحمد خان عليه رحمة الله المنان. اللهم ربي أدم هذا البيت الحرام ببقاء دولة الإسلام ما طاف به الأنام، وحفظه من جميع الآلام بجاه نبينا -عليه وعلى آله الصلاة والسلام-. وهذا التجديد سنة ثلاث وسبعين ومائتين بعد الألف).

وفي عام ١٢٧٩هـ أهدت السيدة (برتونيال سلطان)(١) والدة

السلطان عبد العزيز أسكنه الله الجنة مجموعة من الشمعدانات القيمة للحرم الشريف ونالت بذلك الشرف العالي.

وفي عام ١٢٩٣هـ تم تغيير بعض الأحجار الموجودة في أرضية الحرم الشريف وتجديد بعضها الآخر، وتجديد أرصفة الأروقة، والرخام الموجود بالمطاف، بناءً على ما رآه السلطان بنفسه من احتياج لمثل تلك التجديدات، والعريضة المقدمة له في هذا الشأن.

(١) وهي أصغر زوجات السلطان محمود الثاني، نالت لقب (والده سلطان) بعد جلوس ابنها على العرش، توفيت سنة ١٣٠٠هـ / ١٨٨٣م، وقد قامت بعمل إصلاحات وخيرات كثيرة لمستشفى فقراء المسلمين في مكة المكرمة والمدينة المنورة.

انظر: محمد الأمين المكي: خدمات العثمانيين، مرجع سابق، ص ٦٠.

وفي عام ١٢٩٩هـ أوشكت ستة من الأعمدة الرخامية الواقعة أمام قصر نقيب السادات والمدرسة الداودية- وتدخل ضمن قدسية الحرم الشريف - على الانهيار، تم الكشف عليها واتضح من خلال المعاينة أنها أوشكت على السقوط، فتم استئذان السلطان بأن يصدر أمره بتجديدهم، وتم تجديدهم بالكامل، وفي نفس التاريخ تم هدم القبتين الواقعتين أمام باب علي وبناءهما من جديد بعد معاينة آثار التشقق بهما، ورمم -أيضًا- القسم العلوي من باب إبراهيم.

وكانت توجد قبتان بطول ستة أمتار مربعة من آثار السابقين، إحداهما بالجهة الشرقية للكعبة، والأخرى عند باب بئر زمزم[1]

---

(١) **زَمْزَم:** بفتح أوله، وسكون ثانيه، وتكرار الميم والزاي، وهي البئر المباركة المشهورة؛ قيل: سميت زمزم لكثرة مائها، يقال: ماء زمزم وزمام، وقيل: هو اسم لها مرتجل، وقيل: سميت بضم هاجر أم إسماعيل عليه السلام لمائها حين انفجرت وزمها إيّاه وهو قول ابن عباس رضي الله عنه؛ حيث قال: "لو تُركت لساحت على الأرض حتى تملأ كل شيء. وقيل: سميت بذلك لأن سابور الملك لما حجّ البيت أشرف عليها وزمزم فيها، والزمزمة كلام المجوس وقراءتهم على صلاتهم وعلى طعامهم، وفيها يقول القائل:

زَمْزَمتِ الفُرس على زمزم *** وذاك في سالفها الأقدم

وقيل: بل سميت لزمزمة جبرائيل عليه السلام، وكلامه عليها، وقال ابن هشام: الزمزمة عند العرب الكثرة والاجتماع، وأنشد:

وباشرت مَعْطِنها المدهّما *** ويّمت زَمْزومها المُزَمْزِما

= انظر: المقدسي: أحسن التقاسيم، ص ٢٥- الزمخشري: الجبال والأمكنة والمياه، ص ١٣- الحِميري: الروض المعطار، ص ٢٩٢ - ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٣، ص ١٤٧ - أبو عبيد البكري: معجم ما استعجم، ص ١٩٥- عاتق بن غيث البلادي: معجم معالم الحجاز، ج ٤، ص ١٣٩ .

المسمى باب علي.

وبالرغم من أنه تم جعل إحدى هذه القباب مزولة، والأخرى مكتبة عام ١٢٦٢هـ، إلا أن وجودهما في هذا المكان كان يشغل مكاناً كبيراً من الحرم الشريف، كما كانا يعوقان رؤية الكعبة الشريفة للموحدين الذين يؤدون الصلاة أمام باب علي وباب عباس، هذا فضلا عن تلف الكتب القيمة النفيسة والتي كانت بالمكتبة عندما تتعرض لمياه السيول، لذا تم إصدار فتوى شرعية،

وصدر الأمر السلطاني بناءً على ذلك، فقام أمير مكة في ذلك الوقت وهو جدي عالي الشأن الشريف عبد المطلب[١]، هو ووالي الحجاز عثمان نوري باشا[٢] بهدم هاتين القبتين، وتم نقل المكتبة إلى المدرسة السليمانية، أما المزولة فتم نقلها إلى مكان مناسب يتصل بباب النبي. وبذلك تمت توسعة الحرم الشريف وأصبح بلا حائل.

وفي عام ١٣٠٠هـ قام طوبال عثمان باشا بترميم الأماكن التي تحتاج إلى ترميم في الحرم الشريف، وزينها بالكامل.

---

(١) **عبد المطلب بن غالب** (١٢٠٩ - ١٣٠٣ هـ = ١٧٩٤ - ١٨٨٥ م)

عبد المطب بن غالب بن مساعد الحسني: من أمراء مكة. مولده ووفاته فيها. ولي إمارتها سنة ١٢٤٣هـ. وعزل عنها بعد خمسة أشهر، فتوجه إلى الشرق ثم إلى الآستانة، فأقام إلى سنة ١٢٦٧ هـ، فأعيد إلى إمارة مكة، فاستمر بها إلى سنة ١٢٧٢ فوقعت فتنة بمكة كان سببها منع بيع الرقيق، فعزلته حكومة الترك، فقصد الآستانة ومكث إلى سنة ١٢٩٧ فأعادته حكومتها إلى الإمارة فاستمر إلى سنة ١٢٩٩هـ. وفصل عنها بعد أن وليها ثلاث مرات مجموع مدتها ثماني سنين.

الزركلي: الأعلام، ١٥٥/٤ .

(٢) **عثمان نوري باشا:** هو ابن أمير آلاي أحمد شكري بك ولد عام ١٢٥٦هـ/١٨٤٠م، وتخرج من مدرسة الحربية برتبة يوزباشي، وترقى في المناصب العسكرية حتى صار في عام ١٨٨١م لواء الرديف وقائد الحجاز برتبة فريق ، وفي عام ١٨٨٢م أسندت إليه ولاية الحجاز بالإضافة إلى وظيفته السابقة، كما صار واليا بعد ذلك لعدد من الولايات العثمانية؛ مثل: حلب ١٨٨٦م، واليمن١٨٨٧م، سورية ١٨٩٠م. وتوفي في رمضان عام ١٨٩٨م ، ودفن في قروجة أحمد باستانبول.

= وقد تضمن برنامج الوالي عثمان باشا نوري الإنشائي والإصلاحي في مكة المكرمة الكثير من النواحي مثل:

أولاً: إصلاحاته في المسجد الحرام .

هـدم قبة السقاية ، وقبـة الفـراشين.

نقل المكتبة– مكتبة المسجـد الحـرام - إلى المدارس السليمانية

وبنى داراً للتوقيت بجانب منارة باب علي والتي عُرفت (بموقت خانه) ووضعت فيها الساعات الموقوفة لمواقيت المسجد الحرام .

ترميم أعمدة الرخام الستة الواقعة ناحية المدرسة الداودية.

تجديد بعض القباب الواقعة أمام باب علي، وإصلاح كل الأرصفة التي تحت القباب.

نقل المقام الحنبلي من مكانه في مواجهة الحجر الأسود، ووضعه بجانب المقام الحنفي، وترميم ما يلزم ترميمه في المسجد الحرام ، وطلاء وتزيين الأماكن التي أسفل القباب.

سحر بنت علي محمد دعدع: عثمان نوري باشا وإصلاحاته في مكة المكرمة، مجلة كلية الآداب، جامعة الزقازيق ، العدد ٦٥ ، ربيع ٢٠١٣م.

المآثر الخيرية الأخرى

في عام ٢١٢هـ نظرت السيدة زبيدة زوجة هارون الرشيد[١] بعين الحمية لندرة المياه في منطقة الحجاز، وهو ما كان يشكل بدء خرابها، وبالرغم من أنها أنفقت أموالا طائلة لشق (عين حنين)[٢] لإيصال المياه لمكة المكرمة، إلا أنه نظرا لوفاتها قبل إتمام ذلك؛ لم تصل المياه إلا لعرفات فقط. -رحمة الله عليها رحمة واسعة-.

---

(١) **زبيدة بنت جعفر (... - ٢١٦ هـ =...- ٨٣١ م)**

زبيدة بنت جعفر بن المنصور الهاشمية العباسية، أم جعفر: زوجة هارون الرشيد، وبنت عمه. من فضليات النساء وشهيراتهن. وهي أم الأمين العباسي. اسمها (أمة العزيز) وغلب عليها لقبها (زبيدة) قيل: كان جدها (المنصور) يرقصها في طفولتها ويقول: يا زبيدة أنت زبيدة ! فغلب ذلك على اسمها. وإليها تنسب (عين زبيدة) في مكة: جلبت إليها الماء من أقصى وادي نعمان، شرقي مكة، وأقامت له الأقنية حتى أبلغته مكة. تزوج بها الرشيد سنة ١٦٥ هـ. ولما مات، وقتل ابنها الأمين، اضطهدها رجال المأمون فكتبت إليه تشكو حالها، فعطف عليها، وجعل لها قصرا في دار الخلافة، وأقام لها الوصائف والخدم. وكانت لها ثروة واسعة، قال الحريري في إحدى مقاماته: (ولو حبتك شيرين بجمالها وزبيدة بمالها الخ). وخلفت آثارا نافعة غير العين. قال ابن تغري بردي في وصفها: (أعظم نساء عصرها دينا وأصلا وجمالا وصيانة ومعروفا)، وقال ابن جبير في كلامه عن طريق الحج: (وهذه المصانع والبرك والآبار والمنازل التي من بغداد إلى مكة، هي آثار زبيدة بنت جعفر، انتدبت لذلك مدة حياتها، فأبقت في هذا الطريق مرافق ومنافع تعم وفد الله تعالى كل سنة من لدن وفاتها إلى الآن، ولولا آثارها الكريمة في ذلك لما سلكت هذه الطريق). توفيت ببغداد.

الزركلي: الأعلام، ج ٣، ص ٤٣

(٢) **عين حُنين:** قال رشدي ملحس في ملحق رقم ٤ على أخبار مكة وعين حنين وعين زبيدة: هذه تنبع من جبل شاهق يقال له "طاد" يقع بين جبال الثنية، وهذا الاسم معروف إلى يومنا هذا –وهو واقع بالقرب من مزارع الشرائع في طريق مكة الطائف المار باليمانية– وكان يجري الماء من جبل طاد إلى حائط حنين فاشترت السيدة زبيدة ذلك الحائط، وأجرت الماء في قنوات إلى مكة، كما أشار إلى ذلك الأزرقي.

قال عاتق البلادي: وهذه التي كانت تعرف بالمشاش، وهي اليوم متوقفة عن الجريان إلى مكة، وتسقي زروعًا ونخلاً في حنين، وماؤها غير عذب .

انظر: عاتق بن غيث البلادي: معجم معالم الحجاز، ج ٦، ص ٢٠٥ .

وأصبحت هذه العين غير كاملة حتى عهد السلطان سليمان القانوني، حتى قامت ابنته (مهرماه سلطان) بالإنفاق على تكملتها، وأوصلت المياه من عرفات حتى مكة، وأمرت بإنشاء الأسبلة في الأماكن المناسبة. -رحمها الله وأسكنها الجنان- .

معلومات بخصوص العين المذكورة

المكان الذي ينبع منه هذا المنبع المائي هو قمة جبل طاد[١] الواقع على طريق الطائف، وسمي بعين حنين؛ لأنه يمر من وادي حنين، كما يجلب قسم من المياه من وادي النعمان[٢].

وفي عام ٩٣١هـ قام مصلح الدين أفندي بتطهير المجاري المائية لبدر وحنين وعرفات، بأمر الخلافة.

وعندما حدث السيل الكبير عام ١٠٣٩هـ وخربت مجاري المياه، أرسلت الدولة العلية شخصاً اسمه "إبراهيم بك"، وقام بعمل الإصلاحات اللازمة.

---

(١) **طاد:** بالطاء المهملة، وبعد الألف دال مهملة أيضاً: جبل أسود في ديار هُذيل، يسيل منه الصدر "صدر حُذَين" بين جبلي كبكب، ويسوم، بجانبه ثنية تعرف باسم "الثنية" بالإطلاق يأخذها طريق من الشرائع إلى الطائف.

انظر: عاتق بن غيث البلادي: معجم معالم الحجاز، ج ٤، ص ٢١٧ .

(٢) **نَعْمَان:** فعلان من النعمة أو الأنعام: وادٍ فحل من أودية الحجاز التهامية، يأخذ أعلى مساقط مياهه من جبال: كَرَا وعَفَار وما حولها ؛ حيث تتكون له هناك روافد عظيمة عديدة؛ مثل: الضَّيْقة، والكُرّ ويَعْرِج والشرا، وتسمى صدور نعمان، ومن روافده الأخرى: عرعر وَرَهْجان، والهاوتان، ومن الجبال العظيمة التي تصب مياهها في نعمان: كَبْكَب وبلْم والقُرظة وغيرها.

وينحدر غرباً فيمر جنوب عرفات عن قرب ثم يجتمع بعُرَنَة فيطلق عليه اسم عُرَنة، يمر بين جبلي كُساب وحَبَشي جنوب مكة على أحد عشر كيلو، ويكون هناك حدود الحرم الشريف، ويتسع الوادي بين كبكب والقرظة، فيسمى خبت نعمان لفياحه وسعته، وله عيون هي: عين زُبيدة التي تسقي مكة، وعين سَمَار، جنوب عرفة، وقد انقطعت، وعين العابدية لازالت جارية، وتحسنت الزراعة في نعمان بعد أن كان أعلاه قاحلاً، فحفرت فيه آبار جادت بالماء.

انظر: عاتق بن غيث البلادي: معجم معالم الحجاز، ج ٩، ص ٦٩ .

وتم تجديد المجرى المائي في عرفات -أيضًا- بمعرفة سليمان بك الموظف المرسل من الدولة العلية عام ١٠٩٣هـ أي في عهد السلطان محمد الرابع[١].

وفي عام ١١٨١هـ أرسل السلطان مصطفى خان[٢] موظفا من عنده يدعى فيض الله أفندي قام بترميم (عين زبيدة) ترميما كاملا.

كما تم ترميمها عام ١٢٣٥هـ على يد محمد علي باشا والي مصر بناء على الأمر الصادر له من السلطان محمود الثاني.

وفي عام ١٢٩٦هـ فسد مجرى عين زبيدة مجددا. ولأن الحاجة كانت ماسة لترميم هذه العين في الوقت الحالي؛ أصدر سلطاننا الحالي[٣] إرادة أتت بمقتضاها هيئة علمية من استانبول إلى مكة عام ١٣٢٢هـ، وقد وردت إعانات جمة من الدولة العلية ومن سائر الأقطار الإسلامية الأخرى، وبذلك تم ترميم العين بشكل جيد، مما أزال احتياج مكة المكرمة للمياه تماما.

---

(١) السلطان محمد الرابع (١٠٥٨-١٠٩٩ هـ / ١٦٤٨-١٦٨٧م)

(٢) السلطان مصطفى خان الثالث(١١٧١-١١٨٧ هـ / ١٧٥٧-١٧٧٣م)

(٣) هو السلطان محمد الخامس (١٣٢٧ – ١٣٣٦هـ/١٩٠٩ – ١٩١٨م)

المحمــل

أطلُق على الناقة التي كانت تحمل النبي ﷺ، وتحمل أغراضه أثناء الرحلات اسم المحمل الشريف(١).

وجرت العادة بعد ذلك أن يتم ترتيب ناقة للمحمل تحمل أستار الكعبة وبعض الهدايا الأخرى، وتسير أمام قوافل الحجاج تبركا.

وكان يخرج في العام الواحد محملان؛ أحدهما من مصر، والآخر من استانبول عبر طريق الشام.

وقد تقرر عام ٩٤٧هـ إرسال محمل من مدينة حيس اليمنية، وخرج في هذا العام محمل بهمة مصطفى باشا والي اليمن، وبالرغم من استمراره لفترة طويلة، إلا أنه مع الأسف تعرض مؤخراً لسوء الاستعمال، فأصبح اليوم مهملا.

وأول من بدأ بترتيب وإرسال المحمل هو "الحَجّاج الظالم"، وقد كان المحمل في عهده على شكل مخروطي من ذروته.

---

(١) **المحمل الشريف** Mahmel-I Şerif: الاسم الذي أطلق على حمل الإبل التي تحمل الصرة الهمايونية المرسلة لأهالي الحرمين الشريفين مع فيلق الصرة، وكان يتم إرساله في شهر شعبان من كل سنة، ويقام حفل توديع كبير في استانبول، فتتوجه القافلة إلى الحجاز عن طريق الشام.

سهيل صابان: المعجم الموسوعي، ص ٢٠٤-٢٠٥

وقام صاحب السطوة القاهرة فاتح الشام والقاهرة، ساكن الجنان السلطان سليم بإخراج محمل مكمل في موكب كبير من الشام في اليوم الثامن من شهر شوال عام ٩٢٣هـ، وكان المحمل المذكور ذا أربع زوايا، عليه قبة مخروطية، على الجوانب الأربعة للزوايا وعلى القبة كرة فضية، ويعلو الكرة التي على القبة هلال ذهبي، ومنقوش على قماش القبة كلمة التوحيد (لا إله إلا الله محمد رسول الله)، وكان المحمل الشريف الذي يخرج من الشام كل عام يخرج بهذه الصورة.

وأرضية ستارة المحمل المصري الحالي حمراء، أما محمل الشام فأرضيته من قماش الأطلس الأخضر الغامق، وعليه طغراء[١] الخلافة، والمحمل المصري يشبه المحل الشامي، ولكن عرضه أوسع منه، ومع هذا فكلاهما يليقان بمكانة الخلافة.

وأول من أرسل الصرة إلى الحرمين هو الخليفة العباسي المقتدر بالله، ولم يتيسر لأحد من خلفاء وأمراء الدول الإسلامية إرسال الصرة كل عام بشكل منتظم، إلا لسلاطين وخلفاء آل عثمان.

---

(١) **طغرا** Tuğra: الشعار الذي اتخذه سلطان من السلاطين العثمانيين علامة له وتوقيعاً. كان يدون به المعاهدات والفرمانات والخطوط الهمايونية وغيرها من الوثائق، يقوم بكتابته في أعلى وسط الوثيقة نشانجي المسمى توقيعي أيضاً (نسبة إلى التوقيع).

سهيل صابان: المعجم الموسوعي، ص ١٤٩

وحتى اليوم ترسل الصرة الهمايونية[1] مع المحمل الشامي إلى مكة كل عام، وبخلاف هذا كان يرسل كل عام للحرم الشريف:

٤٤٥٩ أوقية من زيت الدهن من مصر، ١٣٤٤٢ أوقية من استانبول، ويرسل من استانبول من الشمع الكافوري عدد ٤٤٩ ,١٤٥ أوقية، و٥٨١ أوقية من زيت الأسبرمجت، و٣٠٠ درهم من زيت الورد، وست أوقيات، عدد ٢٥٠٠ عود بخور، وعشر أوقيات من العطور النفيسة.

ويرسل لمقام ابن عباس الواقع بالطائف: ٤٠ أوقية من العطور، وعدد ١٠ شموع أسبرمجت، و١١٠ قنديل، و٢٨٨ أوقية زيت.

كما ترسل لمقامات المذاهب الأربعة الموجودة بالحرم الشريف المكي ٢٠٠ شمعة أسبرمجت تزن ٢٥٠ أوقية.

---

(١) **الصرة = الصرة الهمايونية** Surre = Surre - I Hamayun: معناها اللغوي ما يصر على الشيء، وهي كلمة عربية تعني كيس النقود. واستخدم للهدية أيضاً، وأطلقت في المعاملات المالية على مبلغ خمسين ألف أقجة، أي نصف حمل من المال. كما استخدم في المبالغ المالية التي كانت ترسل من لدن السلاطين العثمانيين إلى مجاوري مكة المكرمة والمدينة المنورة من الحكام والسادة والأشراف والأعيان والفقراء. وكانت قافلة الصرة تخرج من استانبول في الثاني عشر من شهر رجب من كل سنة متوجهة إلى الحجاز، وكان أمين الصرة المسئول الأول في توصيلها إلى الحجاز في الوقت المحدد.

سهيل صابان: المعجم الموسوعي، ص ١٤٤

وقد رتب السلطان سليم جراية من القمح ترسل للحرمين، فكان يرسل في البداية لمكة المكرمة خمسة آلاف أردب، وللمدينة المنورة ألفي أردب، ومع مرور الوقت وبِهِمَّةِ السلاطين العثمانيين من بعده زادت هذه الكميات فأصبحت جراية مكة المكرمة ١٢٠٠٠ أردب، والمدينة المنورة ٨٠٠٠ أردب، (الأردب ١٠٨ أوقية).

كانت تلك الجرايات ترسل من مصر والبصرة وسائر البلدان الإسلامية ، وكانت هذه الأرزاق المخصصة لأصحاب الدعاء تسير على هذا المنوال ؛ حتى وقت إمارة جدي المرحوم الشريف عبد المطلب، لذا لا نملك معلومات أكثر من هذا عن الضمائم التي وقعت بعد ذلك.

ولكن مع الأسف تملك كل من الأمير عون الرفيق وشر خلفه

علي باشا والوالي أحمد راتب باشا[١] هذه المخصصات وكأنها إرث من قديم لهم، واستولوا عليها بالغصب، وقاموا مقام أصحاب الدعاء، مما عمل على انكسار قلب المساكين والفقراء الذين كانوا يتعيشون منها.

---

(١) أحمد راتب باشا ابن الوزير عثمان باشا ابن الوزير الشهيد على باشا الرومي، صهر السلطان، المتوفى واليا بموره سنة ١١٧٥ خمس وسبعين ومائة وألف، له ديوان شعره تركي .

إسماعيل باشا البغدادي: هدية العارفين أسماء المؤلفين والمصنفين، وكالة المعارف الجليلة، استانبول، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٥١م، ج١، ص ٢٠١ .

الطائـف

تقع مدينة الطائف شرق مكة المكرمة، وتبعد عنها من أقصر طريق بثماني عشرة ساعة. ترتفع عن سطح البحر بمقدار ١٥٧٥ مترا، وتقع على سفح جبل كرا أحد جبال سلسلة سرات الجبلية.

ويطلق على الطائف -أيضاً- وادي العباس؛ حيث يوجد ضريح ابن عباس بها.

وحولها القري الكثيرة الغنية بحدائقها الغنّاء، ومياهها العذبة الوفيرة، وهي مركز بلاد ثقيف، وهى منشأ الحَجّاج الظالم.

وبمقتضى ما ورد في الحديث الشريف؛ فإن الطائف لها أفضلية ومكانة مثل مكة، ويقع وادي الوجه المشهور بجوار الطائف(١).

سكن الطائف قديما العمالقة، ثم توطن بها بعدهم ثمود. ومؤخرا استولى بنو ثقيف على الطائف واتخذوها مأوى لهم.

وقد ذهب النبي ﷺ مرتين إلى الطائف، ويقع بها قبر الصحابي الجليل ابن عم النبي ﷺ سيدنا عبد الله بن عباس؛ ترجمان القرآن، وسيد المفسرين، رحمه الله، ورضي عنه.

---

(١) لم أجد في كتب الأحاديث حديثا واحدا عن فضل الطائف، ولكن مقولة منسوبة تارة إلى الصحابي كعب رضي الله عنه، وأخرى إلى التابعي سعيد بن المسيب .

ولأن الطائف هي مجمع اللطائف، كان يوجد بها مزارع وحقول كثيرة واسعة تسمى (مثنى)[1] غاية في الجمال، بها آبار متعددة ومياه عذبة وفيرة للمرحوم الشريف غالب أمير مكة[2] الابن الأكبر للمرحوم الشريف عبد المطلب.

ولأن درجة الحرارة في الطائف في أكثر شهور الصيف هناك -وهو شهر يوليو- لا تتجاوز الثلاثين درجة، فإن مياهها الخفيفة اللذيذة دائما ما تكون باردة بدرجة لا يمكن تحملها. ويقع قبر ابني الرسول وهما طيب وطاهر خارج سور المدينة، كما يقع ضريح كل من زيد بن ثابت كاتب وحي رسول الله وأستاذ عبد الله بن عباس، وضريح عكرمة من معاتيق عبد الله بن عباس في مكان يبعد عن الطائف بمقدار ساعة.

---

(١) **المثناة:** مثناة من وادي وَجّ عندما يمر بجنوب الطائف، مشهورة بجودة الرمان، وهي للأشراف ذوي غالب، اتصل بها عمران الطائف، وقد أخذت زراعتها في التأخر والفناء بسبب =انقطاع الماء، وكانت للمثناة عين جارية يضرب بها المثل في تدفق المياه والغزارة، فأجريت لسقي الطائف. وفي الأغاني الشعبية تقرن المثناه مع وج، وهي جزء منه، وفيها حي سكني اليوم يشمله اسم الطائف.

انظر: الزمخشري: الجبال والأمكنة والمياه، ص ١٥- ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٥، ص ٥٥ - عاتق بن غيث البلادي: معجم معالم الحجاز، ج ٨، ص ٢٢ .

(٢) **الشريف غالب** (٠٠٠ - ١٢٣١ هـ = ٠٠٠ - ١٨١٦ م) :

غالب بن مساعد بن سعيد الحسني: من أمراء مكة. وليها بعد وفاة أخيه سرور (سنة ١٢٠٢هـ(، ونازعه ابن أخيه (عبد الله بن سرور) فقبض عليه غالب واستتب له الأمر زمنا. في أيامه قوي الإمام سعود بن عبد العزيز بنجد، وهاجمت جيوشه الحجاز. فقاتلها الشريف غالب، وتقهقر إلى جدة. ثم أظهر الطاعة لسعود، حتى كان كأحد عماله، وعاد إلى مكة، واستمر في الإمارة إلى أن زحف محمد علي باشا (والي مصر) بجيش كبير من الترك وغيرهم لقتال السعوديين، فتحول الشريف عن ولائه لآل سعود، فاستخدمه محمد مدة قصيرة ثم قبض عليه وأرسله إلى مصر(سنة ١٢٢٨هـ(، فأقام أشهرا وأرسل إلى الآستانة فنفته حكومتها إلى سلانيك فتوفي فيها. وكان فيه دهاء، وأخباره مع آل سعود كثيرة أشار إليها مؤرخو عصره .

الزركلي: الأعلام، ج ١٠، ص ٤٣٧

وبالرغم من أن صنمي اللات والعزى كانا موجودين بالطائف قديما، إلا أنهما الآن في حالة متهدمة للغاية بدرجة لا يمكن التعرف بها على أشكالهما، ومحرر بالتفصيل في كتب التاريخ الأحداث التي جرت في الطائف أثناء الفتح النبوي.

الإمارة الجليلة

كان أمر إدارة الأمصار والبلدان التي تفتح على عهد النبي ﷺ وكذا القضاء بها يحال إلى شخص رفيع الشأن يطلق عليه أمير، وعندما فتحت مكة المكرمة عيّن الرسول ﷺ الصحابي الجليل (عتاب ابن أسيد) أميرا عليها.

ولأنه قد وردت أحاديث شريفة عن فضل مكة وقدسيتها، ولكونها محلا لمجاوري بيت الله، ومجمع كافة الموحدين، وصلاح وتقوى العاشقين الذين يؤدون وظيفتهم بها وهم في غاية السعادة، ولأن مكة هي محل أداء فريضة الحج، لذا كان يلزم على الشخص الذي سيؤمّر عليها أن يتصف بالصلاح والتقوى؛ حتى يتسنى له أداء وظيفته الدينية والمعنوية، بخلاف النظر في شئون الإدارة والقضاء. لذا ذكر النبي ﷺ لعتاب بن أسيد الأحاديث الشريفة التي توضح علو قدر ومكانة مكة.

ولأن هذه الخاصية كانت تقدر في كل وقت وفي كل زمان، فإنه كان ينتبه ويعتني بالأشخاص الذين سيتولون أمر هذه الإمارة، ولم يتم تغيير أو تبديل اسم الإمــارة -أيضاً-.

وبالرغم من أن هذا المنصب كان يمنح في عهد الخلفاء الراشدين والعهد الأموي لمن هو أهل له من الصحابة الكرام والتابعين وتابعى التابعين وخيرة رجال العلم والدين، إلا أن الوضع تغير في العصر العباسي حيث انحصرت هذه الوظيفة المقدسة في آل بيت الرسول فقط بناءً على شرافتهم الأصلية.

ولعل هذا كان يوافق العقل والمصلحة معا.

حيث إن خدمة بيت الله وأداء فريضة الحج، وآداب الزيارة وتعظيم البيت يجب أن يكون منحصراً في أولاد وأحفاد رسول الثقلين أكثر من أي شخص آخر، وأنا أظن أن رؤية أحد أفراد العائلة المنتسبة للنسل النبوي الكريم في تلك المواقع المهمة المقدسة سيكون له تأثير معنوي كبير سواء بين أهالي الحرمين الشريفين أو بين الحجاج الكرام أو العربان، وأريد أن أقول هنا: إنه مع كون إمارة مكة ولاية عادية، فإنها -أيضًا- وظيفة روحانية للأسباب المشروحة سالفا.

وبالرغم من أن الإمارة الجليلة انتقلت في عام ٣٣٨هـ إلى الأشراف الكرام المسمين بالهواشم، إلا أن إمارة مكة تيسرت للشريف قتادة الذي تولى مقام الإمارة عام ٥٩٧هـ، ومنذ ذلك التاريخ وحتى وقت قريب والإمارة الجليلة في أولاد وأحفاد الشريف قتادة.

قام محمد على باشا والي مصر -بناء على بعض الأفكار الخاطئة- بعزل الشريف غالب -رحمة الله عليه- وهو من أحفاد الشريف قتادة، أو بتعبير آخر من عائلة ذوى زيد، وعيّن بدلا منه الشريف يحيى من نفس العائلة، ولما لم ير منه أي خدمة قام بعزله، وعيّن مكانه الشريف محمد بن عونة من عائلة ذوي عون، وبذلك تشتت مقام الإمارة.

وهناك الكثيرون مع الأسف ممن ينادون بأن تكون إدارة مكة المكرمة كإدارة المختارية، وذلك حتى لا يحدث التباس في لفظ الإمارة، وحتى لا تكون منحصرة في آل بيت النبي، وبالرغم من أنه يطلق لفظ الإمارة على الإيالة الممتازة أو المختارية، إلا أننا نطلب ويطلب معنا -أيضًا- أصحاب الإيمان والإذعان إلغاء هذا الرأي الذي يبدو وكأنه شبهة في حق آل بيت الرسول، نظرا لما أوضحناه من حرمة خالصة، وهذا هو سبب إطلاق الإمارة على هذه الوظيفة المذكورة.

وثمة رأى ثان باطل يقول بلزوم أن تكون إمارة مكة مختارية، وعلى هذا فيجب أن يتولاها أكبر الأشراف، ويتضح لنا من خلال التفصيلات التالية أن إمارة مكة وظيفة بكل ما تحمله الكلمة من معان ؛ لأنها تعني حينئذ الولاية ، ومن ثم يتم تعيين الولاة عليها لإدارة الشئون المالية والملكية بها بشكل أكثر انتظاما، ولن تلغى الإمارة وقتئذ بل يشرك هؤلاء الولاة في شئونها، أما صورة منح الإمارة فلم تتبع قاعدة أو أصولاً معينة، بل يمنحها السلطان لأحد الأشراف بلا تعيين. وبناء على ذلك لم تكن إمارة مكة مختارية أو حكمًا يورث.

بل إنها انحصرت لفترة تتجاوز الـ ٧٠٠ عام في عائلة ذوي زيد بداية من الشريف قتادة وحتى الشريف يحيى اتباعا للعادات القديمة، ولم يكن هذا امتيازاً يمنح لهم، لأنه كان يجب فيمن يتولى هذا المقام بالنظر لقدسية وخصوصية مكة أن يكون من عائلة لها مكانتها وشهرتها بين العرب، ولم يكن هناك أدنى شك في انتسابها للرسول ﷺ، ويستدل على صحة هذا الرأي من الأحداث التي تدعو للتأسف والتي وقعت من عائلة ذوي عون التي عينت مؤخراً على إمارة مكة.

لذا رأينا من المناسب ذكر الأشخاص الكرام الذين تولوا منصب إمارة مكة منذ العهد النبوي وحتى يومنا هذا، وكذا بعض الأحداث الخاصة بها لتكون تذكرة قيمة.

بحـث

سنوضح الآن أسماء الذوات الكرام، الذين تولوا منصب ولاية مكة المكرمة بصفة أمير منذ العهد النبوي مستندين في ذلك إلى التاريخ.

(عتاب بن أسيد)[١]: وهو أول أمير على مكة في العصر النبوي، ظلت إمارته ١٣ سنة.

وقد أوصى النبي ﷺ عتابًا؛ قائلاً له: (هل ترى إلى من أبعثك، أبعثك إلى أهل الله تعالى فاستوصِ بهم خيرا)[٢].

---

(١) **عتاب بن أسيد:** بن أبي العيص بن أمية بن عبد شمس القرشي الأموي، يكنى أبا عبد الرحمن. وقيل: أبو محمد. أسلم يوم فتح مكة واستعمله النبي ﷺ على مكة عام الفتح حين خروجه إلى حنين فأقام للناس الحج تلك السنة وهي سنة ثمان وحج المشركون على ما كانوا عليه وعلى نحو ذلك أقام أبو بكر رضي الله عنه للناس الحج سنة تسع حين أردفه رسول الله ﷺ بعلي بن أبي طالب رضي الله عنه وأمره أن ينادي: "ألا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان، وأن يبرأ إلى كل ذي عهد من عهده"،

وأردفه بعلي بن أبي طالب رضي الله عنه يقرأ على الناس سورة براءة فلم يزل عتاب أميراً على مكة حتى قبض رسول الله ﷺ وأقره أبو بكر عليها فلم يزل إلى أن مات. وكانت وفاته فيما ذكر الواقدي يوم مات أبو بكر الصديق رضي الله عنه قال: ماتا في يوم واحد وكذلك يقول ولد عتاب.

ابن عبد البر (أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي): الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ١٤١٢هـ، ٣١٤/١.

(٢) لم أجد الحديث في كتب الصحاح أو كتب الحديث المعتمدة، سوى في أخبار مكة للأزرقي، قال: حدثنا محمد بن أبي عمر، قال: حدثنا نصر بن باب، عن حجاج بن أرطأة، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، رضي الله عنه قال: إن النبي ﷺ بعث عتاب بن أسيد رضي الله عنه إلى أهل مكة وقال: (هل تدري إلى من أبعثك ؟ أبعثك إلى أهل الله، فانههم عن شرطين في بيع، وبيع وسلف، وربح ما لم يضمن، وبيع ما لم يقبض)

الأزرقي: أخبار مكة، الحديث رقم ١٧٣٩ .

وفي رواية أخرى: (أتدري على من استعملتك، استعملتك على أهل الله تعالى فاستوص ِ بهم خيرا)[1].

وقد بقى عتاب بن أسيد في منصب إمارة مكة حتى وفاة أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

وفي عهد خلافة عمر بن الخطاب التي استمرت ١٠ سنوات، تولى إمارة مكة كلٌ من: المحرز بن حارث، وقنفد بن عمير، ونافع بن حارث، وخالد بن العاص.

وفي خلافة عثمان بن عفان التي استمرت ١٢ سنة وعدة أشهر، تولى إمارة مكة كل من: طارق بن المرتفع، وحارث بن نوفل، وعلي بن عدي، وخالد بن العاص، وحارث بن نوفل لمرة ثانية، وعبد الله بن خالد، وعبد الله بن عامر، ونافع بن حارث، وخالد بن العاص.

أما في خلافة علي بن أبي طالب، فقد تولى إمارة مكة أبو قتادة الأنصاري، وقثم بن العباس، وعندما استشهد علي كان قثم هو أمير مكة.

وفي عهد معاوية بن أبي سفيان تولى إمارة مكة عتبة بن أبي سفيان، ومروان بن الحكم، وسعيد بن العاص، وخالد بن العاص، وعبد الله بن خالد.

---

(١) لم أجد الحديث في كتب الصحاح أو كتب الحديث المعتمدة، سوى في أخبار مكة للأزرقي، قال: حدثنا أبو الوليد، قال: حدثني جدي، حدثنا عبد الجبار بن الورد المكي، قال: سمعت ابن أبي مليكة، يقول: إن النبي ﷺ قال: « لقد رأيت أسيدا في الجنة، وأنى يدخل أسيد الجنة » فعرض له عتاب بن أسيد، فقال: « هذا الذي رأيت، ادعه لي» فدعا، فاستعمله يومئذ على مكة، ثم قال لعتاب: « أتدري على من استعملتك ؟ استعملتك على أهل الله، فاستوص بهم خيرا » يقولها ثلاثا

الأزرقي: أخبار مكة، الحديث رقم ٨٤٣

وفى عهد يزيد بن معاوية تولى إمارة مكة عمرو بن أسيد، ووليد بن عتبة، وعثمان بن محمد، وحارث بن خالد، وعبد الرحمن بن زيد، ويحيى بن الحكم.

وعندما بايع أهل مكة عبد الله بن الزبير تولى إمارة مكة وظل بها حتى استشهاده عام ٧٣هـ.

وهذه أسماء الأشخاص الذين تعاقبوا على إمارة مكة في العهد الأموي والعهد العباسي:

الحجاج بن يوسف الثقفي، مسليمة بن عبد الملك، الحارث بن خالد المخزومي، خالد بن عبد الله القسري، نافع بن علقمة الكناني، يحيى بن الحكم بن العاص، عمر بن عبد العزيز، خالد بن عبد الله، طلحة بن داود، عبد العزيز بن عبد الله، عبد العزيز بن عبد الله لمرة ثانية، محمد بن طلحة، عروة بن عياط، عبد الله بن قيس، عثمان بن عبد الله، عبد العزيز بن عبد الله، عبد الرحمن بن الضحاك، عبد الواحد النصري، عبد الله بن قيس، عثمان بن عبد الله لمرة ثانية، عبد العزيز بن عبد الله لمرة رابعة، عبد الله بن الضحاك، عبد الواحد بن عبد الله، عبد الواحد النصري لمرة ثانية.

إبراهيم بن هشام، محمد بن هشام، نافع بن عبد الله الكناني، يوسف ابن محمد الثقفي، عبد العزيز بن عمر، عبد الواحد بن سليمان، أبو حمزة بن الخارجي، عبد الملك بن محمد، مروان بن محمد بن الوليد، داود بن علي، عمر بن عبد الحميد، عباس بن عبد الله، زياد بن عبد الله، الهاشم بن معاوية، سري بن عبد الله، محمد بن الحسن بن معاوية، سري بن عبد الله، عبد الصمد بن علي، محمد بن إبراهيم الإمام، إبراهيم بن يحيى، عبد الله بن قسم لمرة ثانية، الحسين بن علي، حمد بن إسماعيل، حمادة البربري، سليمان بن جعفر، عباس بن موسى، عباس بن محمد الإمام، عبد الله بن قسم، على بن موسى، فاضل بن عباس، حمد بن عبد الله، موسى بن عيسى، داود بن عيسى، الحسين بن الحسن، على بن محمد بن جعفر الصادق، عيسى بن يزيد الجلوي، هارون بن المسيب، حمدون بن علي، يزيد بن حنظلة، إبراهيم بن موسى الكاظم، عبد الله بن الحسن، صالح بن عباس، سليمان بن عبد الله، محمد بن سليمان، الحسن بن سهل، عبد الله بن عبد الله، صالح بن عباس لمرة ثانية.

محمد بن داود، علي بن عيسى، عبد الله بن محمد، محمد بن سليمان، محمد بن المنتصر، عبد الصمد بن موسى، جعفر بن الفاضل بن إسماعيل بن يوسف، عباس بن المستعين، محمد بن الطاهر، عيسى بن محمد، محمد بن أحمد بن عيسى، علي بن الحسن، الموفق طلحة بن محمد، إبراهيم بن محمد، أبو المغيرة محمد بن أحمد، أبو عيسى بن محمد، الفاضل بن العباس،

هارون بن محمد، أحمد بن طولون، محمد بن الساج، يوسف بن أبي الساج، عج بن المحلب، مونس الخادم بن محارب، الحافظ أبو الفاضل القرمطي، عيسى بن جعفر، أبو الفتوح، حسن بن جعفر.

وبعد هذا التاريخ انتقلت الإمارة إلى الأشراف الكرام المعروفين بالهواشم.

محمد بن حسن بن جعفر من عام ٤٣٠ إلى عام ٤٥٣هـ.

حسن بن جعفر، ومحمد بن جعفر من عام ٤٥٥ إلى عام ٤٨٤ هـ، حيث انتهز أبو الطيب بن داود فرصة غياب حسن بن جعفر عن مكة واستولى هو على الإمارة.

وبعد إمارة محمد بن حسن بن جعفر، تولى مقام الإمارة أبو الطيب، الذي تغلب في الفترة من ٤٥٣ وحتى عام ٤٥٥هـ.

وتولى الإمارة من ٤٥٥ إلى ٤٨٤هـ محمد بن جعفر بن محمد.

بعده تعاقب على مقام الإمارة كل من: القاسم بن محمد، فليثة بن القاسم، هاشم بن فليثة، القاسم بن هاشم، عيسى بن فليثة، مالك بن فليثه، داود بن عيسى، مكسر بن عيسى، القاسم بن مهنا، داود بن عيسى.

الشريف قتادة، تولى مقام إمارة مكة المكرمة بالقوة القاهرة منذ عام ٥٩٧ إلى ٦١٧هـ. والشريف قتادة هو أول من أسس وأيد إمارة مكة المكرمة، وبناء على ذلك انحصرت الإمارة في أولاده وأحفاده حتى الشريف عبد المطلب.

الشريف حسن بن قتادة، تولى الإمارة من عام ٦١٧ إلى عام ٦٣٠هـ.

الشريف راجح بن قتادة، بالرغم من أنه تولى الإمارة من عام ٦٣٠ إلى عام ٦٥١هـ، إلا أنه في عام ٦٥١ تحولت الإمارة بالوكالة إلى الملوك اليمنيين، وبعدها بفترة قصيرة عاد إلى مقام الإمارة وظل بها حتى أواخر ذي الحجة من التاريخ المذكور.

الشريف حسن بن على بن قتادة تولى الإمارة في السنة المذكورة، وانفصل عنها في نفس السنة، حيث اشترك معه في الإمارة ابنه أبو نمى (الأول).

الشريف حجاز بن حسن بن قتادة، أصبح أميرا في عام ٦٥٢هـ وفي نفس العام جهّز عمه راجح بن قتادة جيشا واستولى على مكة عنوة، وأخرج الشريف حجاز منها.

وفي نفس العام -أيضًا- هجم ابنه الشريف غانم بن راجح على مكة وانتزع الإمارة من يد والده، ثم استولى على الإمارة الشريف أبو نمى، ثم الشريف إدريس بن على بن قتادة.

وفي عام ٦٥٤هـ تنازع الشريف إدريس والشريف أبو نمى، وانتهى الأمر بتصالحهما، وعاشا في مصالحة حتى عام ٦٦٧هـ، حيث تنازعا مرة أخرى لأسباب ما، واستقل الشريف أبو نمي بالإمارة وظل بها حتى عام ٦٨٨هـ.

الشريف حجاز بن شيحة، بالرغم من أنه عين أميرا على مكة بأمر السلطان قلاوون[1] سلطان مصر، إلا أن الشريف أبو نمي استولى على الإمارة مرة أخرى، وطرد الشريف حجاز من مكة، وظل هو في مقام الإمارة حتى عام ٧٠١هـ، ومنذ ذلك التاريخ فوّض أمر الإمارة إلى أبنائه الشريف حميضة ، والشريف رميثة ، ثم توفي بعدها بيومين . -عليه رحمة الله-.

وفى عام ٧٠١ هـ اشترك أبناء الشريف أبو نمى وهم: حميضة ورميثة وعطيفة وأبو العيث في مقام الإمارة الجليل لمدة عامين. ثم أصبح الشريفان حميضة ورميثة في مقام الإمارة للمرة الثانية من عام ٧٠٣ هـ وحتى عام ٧١٥هـ، وانتهز الشريف حميضة فرصة وجود أخيه في مصر واستقل بأمور الإمارة وحده، وبعد عودة أخيه اشترك الاثنان مرة أخرى في مقام الإمارة من عام ٧١٥ هـ وحتى عام ٧١٩هـ.

---

(١) **قلاوون الألفي (٦٢٠ - ٦٨٩ هـ = ١٢٢٣ - ١٢٩٠ م):**

قلاوون الألفي العلائي الصالحي النجمي، أبو المعالي، سيف الدين، السلطان الملك المنصور: أول ملوك الدولة القلاوونية بمصر والشام، والسابع من ملوك الترك وأولادهم بمصر. كان من المماليك، فبجاقي الأصل، أعتقه الملك الصالح نجم الدين أيوب سنة ٦٤٧ هـ، فأخلص الخدمة للظاهر بيبرس. وقام بأمور الدولة في أيام العادل سلامش ابن الظاهر، فكان يخطب له وللعادل على منابر مصر. وضربت السكة باسمهما. ثم خلع العادل، وتولى السلطنة منفردا (سنة ٦٧٨هـ) وجلس على سرير الملك في قلعة الجبل. وأغار التتار على بلاده، فقاتلهم وظفر بهم. وهاجم ملك النوبة مدينة أسوان ونهبها، فأرسل إليه قلاوون من هزمه وغنم منه مغانم كثيرة. واستمر إلى أن توفي بالقاهرة. وكان من أجل ملوك "المماليك" قدرا ومن أكثرهم آثارا، شجاعا، كثير الفتوحات، أبطل بعض المظالم. ومن آثاره " البيمارستان" بين القصرين. قال ابن إياس: كان قليل الكلام بالعربي. مدة ملكه إحدى عشرة سنة وثلاثة أشهر.

الزركلي: الأعلام، ٥/٢٠٤ .

الشريف عطيفة أبو نمى، تولى إمارة مكة من عام ٧١٩ هـ وحتى عام ٧٢٢هـ.

ومن عام ٧٢٢هـ وحتى عام ٧٤٥هـ اشترك الشريفان رميثة وعطيفة في منصب الإمارة، حتى استقل الشريف رميثه بها وحده. فقد تولى الشريف رميثة الإمارة منفردًا ومشتركًا سبع مرات، وتولى بعده ابناه الشريفان تقية وعجلان من عام ٧٤٥ إلى عام ٧٤٦هـ.

الشريف عجلان بن رميثة، عُيّن وعزل عام ٧٤٦هـ.

تولى الإمارة بعده ابنه الشريف محمد بن عجلان، وذلك عام ٧٩٧هـ وظل بها حتى وفاته عام ٨٠٩هـ. رحمة الله عليه.

الشريف حسن بن عجلان، تولى الإمارة عام ٨٠٩هـ، وعين ابنه "شريك" مكانه عام ٨١٨هـ، وعزل في نفس العام.

الشريف رميثة بن محمد بن عجلان، تولى الإمارة عام ٨١٨هـ، وتوفي في نفس العام.

الشريف بركات بن حسن، عين أميرا عام ٨٢١هـ، وعزل عام ٨٢٧هـ.

الشريف على بن عنان، تولى عام ٨٢٧هـ، وتوفي عام ٨٢٨هـ.

الشريف حسن بن عجلان، تولى من عام ٨٢٨هـ، حتى عام ٨٤٥ هـ.

الشريف على بن حسن بن عجلان، تولى عام ٨٤٥هـ، حتى عام ٨٤٧هـ.

الشريف أبو القاسم بن الحسن، تولى عام ٨٤٧هـ، حتى عام ٨٤٩هـ.

الشريف أبو القاسم بن الحسن، تولى الإمارة للمرة الثانية، عام ٨٤٩هـ، وتوفي عام ٨٥١هـ.

الشريف بركات بن حسن تولى الإمارة للمرة الثانية عام ٨٥١هـ، وتوفي عام ٨٥٩هـ.

الشريف محمد بن بركات تولى الإمارة من عام ٨٥٩هـ، حتى عام ٩٠٣هـ.

وتولى منصب الإمارة من عام ٩٠٣هـ، حتى عام ٩٠٩هـ مشاركة ومناوبة كلٌ من: الشريف بركات بن محمد، والشريف هزاع بن محمد بن بركات، والشريف أحمد بن محمد بن بركات، والشريف بركات بن محمد.

وتولى الشريف حميضة بن محمد بن بركات منصب الإمارة للمرة الثانية من عام ٩١٠هـ، حتى عام ٩٣١هـ.

الشريف أبو نمي محمد بن بركات، تولى الإمارة عام ٩٣١هـ حتى عام ١٠٠٣هـ.

وقد دخلت منطقة الحجاز تحت إدارة الدولة العثمانية في عهد هذا الشريف، بعد فتح السلطان سليم لمصر.

وبالرغم من أن كتب التاريخ تذكر أن الشريف بركات الذي كان يتولى منصب إمارة مكة في ذلك الوقت أرسل ابنه الشريف أبو نمى إلى السلطان سليم، وذلك ليهنئه بفتح مصر ويعرض عليه طاعته، إلا أنه بالنظر إلى المطالعات والتحقيقات الأخيرة ثبت أن السلطان سليم بعد أن تسنى له فتح مصر، أراد أن يجهز جيشا ويخرج به إلى منطقة الحجاز.

ولما علم القاضي صلاح الدين الذي كان قاضيا على مكة وسيق إلى مصر وحُبس بها؛ لأنه لم يلب طلب السلطان الغوري عندما طلب منه بغير حق عشرة آلاف دينار، لما علم هذا القاضي بذلك، عرض على السلطان سليم أن يرسل برسالة إلى الشريف بركات –أولا- قبل أن يرسل الجيوش إليه، لأن الشريف بركات ذو شأن وشرف ودراية؛ لأنه ثابت القدم في أداء الوظائف.

وبناء على ذلك أرسل السلطان سليم برسالة إلى الشريف بركات يعرض عليه إعلان الطاعة له، فأرسل الشريف بركات ابنه الشريف أبو نمى وكان غلاما في الثانية عشرة من عمره عام ٩٢٣هـ، وكان معه رسالة تهنئة من والده للسلطان سليم بفتح مصر، وقد قابله السلطان سليم خير مقابله وأعزه،

وعينه السلطان سليم شريكا لوالده في منصب الإمارة، كما كان الوضع في عهد السلطان الغوري[1]، وبعد وفاة والده استقل أبو نمى بالإمارة وحده. وقد بلغت مدة إمارة الشريف أبو نمي ٧٢ سنة، سواء مشتركا مع والده أو منفردا. وقد حصرت الدولة العثمانية إمارة مكة المكرمة في عائلة (ذوي زيد) واستمرت حتى عهد الشريف غالب.

الشريف حسن بن أبو نمى، وفي السنة التي تولى فيها الإمارة كانت (عين زبيدة) التي أنشأتها السيدة خانم[2] سلطان ابنة السلطان سليم، والتي تصل من عرفات وحتى مكة المكرمة، قد أوشكت على الانتهاء.

---

(١) **قانصوه الغوري** (٨٥٠ - ٩٢٢ هـ = ١٤٤٦ - ١٥١٦ م):

قانصوه بن عبد الله الظاهري (نسبة إلى الظاهر خشقدم) الأشرفي (نسبة إلى الأشرف قايتباي) الغوري أبو النصر، سيف الدين، الملقب بالملك الأشرف: سلطان مصر. جركسي الأصل، مستعرب، خدم السلاطين، وولي حجابة الحجاب بحلب. ثم بويع بالسلطنة بقلعة الجبل (في القاهرة) سنة ٩٠٥هـ، وبنى الآثار الكثيرة. وكان ملما بالموسيقى والأدب، شجاعا، فطنا داهية. له "ديوان شعر" وليس بشاعر. وللسيوطي شرح على بعض موشحاته سماه "النفح الظريف على الموشح الشريف". وقصده السلطان سليم العثماني بعسكر جرار، فقاتله قانصوه في "مرج دابق" على مقربة من حلب. وانهزم عسكر قانصوه فأغمي عليه وهو على فرسه، فمات قهرا، وضاعت جثته تحت سنابك الخيل كما في رواية ابن إياس. ويقول العبيدي: إن "الأمير عان" وهو من رجال الغوري القلائل الذين ثبتوا معه في المعركة، لما رأى الغوري قد وقع على الأرض، أمر عبدا من عبيده فقطع رأسه وألقاه في جب، مخافة أن يقتله العدو، ويطوف برأسه بلام الروم".

الزركلي: الأعلام، ج ٥، ص ١٨٨ .

(٢) **خانم:** لفظ فارسي بمعنى سيدة أو زوجة.

مصطفى بركات: الألقاب والوظائف العثمانية، ص ٢٦٢ .

وقد عرض الموظف المكلف بأعمال الترميمات والإنشاءات، وهو الأمير إبراهيم، على العتبة العلية أنه من المناسب إنشاء أربع مدارس للمذاهب الأربعة يدرس بها علماء مكة الفقه، لذا صدر الأمر السلطاني بأن يتم الشروع في البناء، وتم تعيين أمير جدة قاسم بك مشرفا على البناء الذي بدأ في مكان مناسب يتصل بالحرم الشريف، ولما كان المكان المناسب لإنشاء هذه المدارس هو المكان الواقع بجهة باب الزيادة تم استبدال عدة منازل للشريف المذكور مع أوقافها، وبعض أراضي السلطان الغوري من ملوك مصر الشراكسة، ومدارس أحمد شاه سلطان حاكم كيبانا، والمستشفى المنصوري الكائن بهذا المكان، وجعل الشريف المذكور المدرسة -أيضًا- بمثابة الرباط الموقوف، واستبدل برباط آخر في منطقة السويقة، والمنازل المذكورة تم التبرع بها من الشريف المذكور، أسكنه الله فسيح جناته، وهي اليوم باقية بهيئتها الأصلية.

وفي البداية اتخذت اثنتان من هذه المباني كمحكمة شرعية ومكتبة، والثالث تحول إلى خان، وأنشئت مدرسة بقباب أربع متينة.

وتولى الشريف أبو طالب بن حسن إمارة مكة من عام ١٠١٠هـ، إلى ١٠١٢هـ، والشريف إدريس بن حسن من ١٠١٢هـ، إلى ١٠٣٤هـ.

الشريف محسن، عُيّن حاكما مستقلا على الحجاز من عام ١٠٣٤هـ، إلى عام ١٠٣٧هـ.

الشريف أحمد بن أبو طالب من عام ١٠٣٧هـ، إلى عام ١٠٣٩هـ، والشريف مسعود بن إدريس من عام ١٠٣٩هـ، إلى عام ١٠٤٠هـ.

الشريف عبد الله بن حسن من عام ١٠٤٠هـ، إلى ١٠٤١هـ

الشريف محمد بن عبد الله مشتركا مع الشريف زيد بن محسن في عام ١٠٤١هـ.

الشريف نامي تولى الإمارة مشتركا مع الشريف عبد العزيز في أواخر عام ١٠٤١هـ.

الشريف زيد بن محسن، تولى الإمارة من عام ١٠٤٢ إلى عام ١٠٧٢هـ وقد قام بالكثير من الخدمات المبرورة أثناء فترة إمارته.

الشريف سعد بن زيد من عام ١٠٧٧ إلى عام ١٠٨٢هـ

الشريف بركات بن محمد من عام ١٠٨٣ إلى عام ١٠٩٤هـ.

الشريف أحـمد بن زيد من عام ١٠٩٤ إلى عام ١٠٩٥هـ.

الشريف سعيد بن سعد تولى الإمارة عام ١٠٩٩هـ وليس معلوم بشكل قاطع مدة إمارته.

الشريف أحمد بن غالب من ١٠٩٩ إلى ١١٠١هـ.

الشريف محسن بن الحسين من ١١٠١ إلى ١١٠٣هـ.

الشريف سعيد بن سعد، بالرغم من أنه تولى منصب الإمارة عام ١١٠٣هـ، إلا أنه تركها بعد تسعة أيام.

ورغم أن كلاً من: الشريف عبد المحسن بن أحمد، والشريف عبد الكريم بن محمد علي، والشريف سعد بن زيد، والشريف عبد الكريم قد أحرزوا مقام الإمارة إلا أننا لم نصادف تواريخ تنصيبهم وانفصالهم.

الشريف سعيد بن سعد بن زيد تولى من عام ١١١٦ إلى عام ١١١٧هـ.

الشريف عبد الكريم بن محمد على تولى من عام ١١١٧هـ، إلى عام ١١٢٣هـ.

الشريف سعيد بن سعد من ١١٢٣هـ، إلى ١١٢٩هـ.

الشريف عبد الله بن سعيد من عام ١١٢٩هـ، إلى عام ١١٣٠هـ.

الشريف مبارك يحيى بن بركات من عام ١١٣٠هـ، إلى عام ١١٣٢هـ.

الشريف مبارك بن أحمد من عام ١١٣٢هـ، إلى عام ١١٣٤هـ.

الشريف يحيى بن بركات من عام ١١٣٤هـ، إلى عام ١١٣٥هـ.

الشريف مبارك بن أحمد بالرغم من أنه تولى الإمارة في أواخر عام ١١٣٥ إلا أن مدة إمارته لم تعين.

الشريف عبد الله بن سعيد من عام ١١٣٦هـ، إلى عام ١١٤٣هـ.

الشريف محمد بن عبد الله بن سعد من عام ١١٤٣هـ، إلى عام ١١٤٥هـ.

الشريف مسعود بن سعيد من عام ١١٤٥هـ، ولم تحدد مدة إمارته.

الشريف محمد بن عبد الله بن سعد من عام ١١٤٥هـ، إلى عام ١١٤٦هـ.

الشريف مسعود بن سعيد من عام ١١٤٦هـ، إلى عام ١١٦٥هـ.

الشريف مساعد بن سعيد من عام ١١٦٥هـ، إلى عام ١١٧٢هـ.

الشريف جعفر بن سعيد من عام ١١٧٢هـ، إلى عام ١١٧٣هـ.

الشريف مساعد بن سعيد من عام ١١٧٣هـ، إلى عام ١١٨٤هـ.

ولهم مآثر مبرورة وخدمات جليلة للعالم الإسلامي.

وبالرغم من أن كلاً من: الشريف عبد الله بن سعيد، والشريف أحمد بن سعيد، والشريف عبد الله بن حسين بركات، قد تولوا الإمارة من عام ١١٨٤هـ إلا أن مدة إمارة كل واحد منهم ليست معلومة.

الشريف أحمد بن سعيد من عام ١١٨٤هـ، إلى عام ١١٨٦هـ.

الشريف سرور بن مساعد بن سعيد من عام ١١٨٦هـ، إلى عام ١٢٠٢هـ، وله خدمات مشكورة للعالم الإسلامي، وكان عمر هذا الشريف حينما تولى الإمارة ستة عشر أو سبعة عشر عاما، وهذا دليل على دهائه وكمال معرفته.

ويقول عبد الرحمن الجبرتي في تاريخه: (تولى الشريف سرور إمارة مكة وهو في الخامسة عشر من عمره، وتوفي وهو في الثلاثين، لم يغفل لحظة عن شئون الدولة، كان يباشر كل الأعمال صغيرة أو كبيرة بنفسه، وقد انتشر الأمن والعدل أيام إمارته، ولم يأت مثله من سلفه أو خلفه الذين نعرفهم).

الشريف عبد الله بن مساعد تولى الإمارة عام ١٢٠٢هـ ولكن انفصل عنها بعد خمسة أو ستة أشهر.

الشريف غالب بن مساعد بن سعد وهو والد جناب الشريف عبد المطلب، تولى من عام ١٢٠٢هـ، إلى عام ١٢٢٨هـ، استمرت إمارته ٢٦ سنة.

تولى بعده الشريف يحيى بن سرور بن مساعد، تم تنصيبه من عام ١٢٢٨هـ، إلى عام ١٢٤٢هـ.

بعده الشريف محمد بن عبد المعين بن عون، تولى من عام ١٢٤٢هـ، إلى عام ١٢٦٧هـ.

الشريف عبد المطلب صاحب المناقب ابن الشريف غالب تولى من عام ١٢٦٧هـ، إلى عام ١٢٧٢هـ، واتسم عهده بالنباهة والشرافة.

وتولى بعده محمد بن عون وهو جد كل من: الشريف علي، والشريف عبد الله، والشريف حسين، الذين تولوا الإمارة تلو بعضهم البعض.

تولى محمد بن عون الإمارة من عام ١٢٧٢هـ، إلى عام ١٢٧٦هـ.

كان لمحمد بن عون أربعة أبناء وحفيدان وهم الأشراف: عبد الله، وحسين، وعون الرفيق، وعبد الله، والأمير علي، والأمير حسين.

والله الموفق وعليه الاتكال

تاريخ تحرير الكتاب ١٠ كانون الأول[١] ١٣٢٤

---

(١) هو شهر ديسمبر، والسنة المذكورة بالتقويم المالي .

قائمة المصادر والمراجع

أولا: المصادر والمراجع العثمانية والتركية :

- الشريف محمد صادق: مادر دنيا، مطبعة كتبخانه جهان، استانبول، ١٣٢٤
- Surre Alayı " Hayat Tarih Mecmuasi, c. ID., sayi: ٢٩, s. ١٤٨.
- E. Sabri, Mirat, c. ١, s., ٦٧٨. M. Dohsson, t٢, p. ٨٢.

ثانيا: المصادر والمراجع المعربة :

- أكمل الدين إحسان أوغلى (إشراف): الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، نقله إلى العربية: صالح سعداوي، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ٢٠١٠م
- س. موستراس: المعجم الجغرافي للإمبراطورية العثمانية، ترجمة وتعليق: عصام محمد الشحادات، دار ابن حزم، بيروت، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م
- محمد الأمين المكي: خدمات العثمانيين في الحرمين الشريفين، ترجمة: ماجدة مخلوف، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط٢، ٢٠٠٥ م.
- يلماز أوزتونا: تاريخ الدولة العثمانية، ترجمة: عدنان محمود سلمان، منشورات مؤسسة فيصل للتمويل، استانبول، ١٩٨٨م.

ثالثا: المصادر العربية:

- ابن عبد البر (أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي): الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ١٤١٢هـ.

- أبو عبيد البكري (أبى عبيد، عبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي): معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣م.

- الأزرقي (أبي الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد الأزرقي): أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، دراسة وتحقيق: علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ٢٠٠٨.

- الحِميري (محمد بن عبد المنعم الحِميري): الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، ١٩٨٠م.

- الزمخشري: الجبال والأمكنة والمياه، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٢٢م

- المقدسي البشاري: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، دار صادر، بيروت، مصورة عن طبعة ليدن، ١٩٨٥م.

- ياقوت الحموي (ياقوت بن عبد الله الحموي أبو عبد الله): معجم البلدان، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٤م.

رابعا: المراجع العربية:

- أحمد صدقي شقيرات: تاريخ مؤسسة شيوخ الإسلام في العهد العثماني، الأردن، ٢٠٠٢م
- إسماعيل باشا البغدادي: هدية العارفين أسماء المؤلفين والمصنفين، وكالة المعارف الجليلة، استانبول، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٥١م.
- مصطفى بركات: الألقاب والوظائف العثمانية، دار غريب، القاهرة، ٢٠٠٠م

خامسا: المعاجم والموسوعات:

- حسين مجيب المصري: معجم الدولة العثمانية، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ٢٠٠٤م.
- خير الدين الزركلي: الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الخامسة ١٩٨٠م.
- سهيل صابان: المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، مكتبة الملك فهد، الرياض، ٢٠٠٠م
- عاتق بن غيث البلادي: معجم معالم الحجاز، دار مكة للنشر والتوزيع، ١٩٧٨م

سادسا: الرسائل العلمية:

- محمد فهيم بيومي: مخصصات الحرمين في مصر إبان العصر العثماني، جامعة الأزهر، كلية اللغة العربية بالقاهرة، قسم التاريخ والحضارة، إشراف مصطفى محمد رمضان، ١٩٩٩م.

سابعا: المواقع الإلكترونية :

- ابن الضياء (أبو البقاء محمد بهاء الدين بن الضياء المكي): تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام، كتاب إلكتروني على موقع

http://www.alwarraq.com

ثامنا: الدوريات :

- سحر بنت علي محمد دعدع: عثمان نوري باشا وإصلاحاته في مكة المكرمة، مجلة كلية الآداب ، جامعة الزقازيق ، العدد ٦٥ ، ربيع ٢٠١٣م.

المحتويات